مكتبة الأسرة

الروائع





ا جـ كـتـب

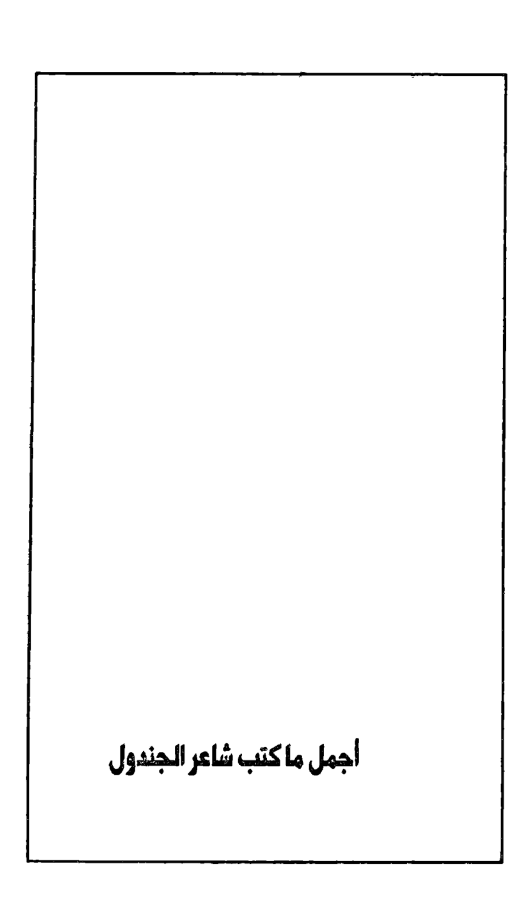
شـ جندول

على

مودطه



الهيئة المصرية



أجمل ما كتب شاعر الجندول



مهرجان القراءة للجميع ٩٦

مكتبة الأسرة

برعاية السيدة سوزان مبارك

(روائع الأدب العربى)

أجمل ما كتب شاعر الجندول
على محمود طه

لوحة الغلاف
للفنان جمال قطب

تصميم الغلاف
الانجاز الطباعى والفنى
محمود الهندى

المشرف العام

د. سمير سرحان

الجهات المشتركة:

جمعية الرعاية المتكاملة المركزية

وزارة الثقافة

وزارة الإعلام

وزارة التعليم

وزارة الحكم المحلى

المجلس الأعلى للشباب والرياضة

التنفيذ: هيئة الكتاب

أجمل ما كتب شاعر

الجندول

على محمود طه

اختيار وتقديم

د. سمير سرحان   د. محمد عنانى

على سبيل التقديم...

لأن المعرفة أهم من الثروة وأهم من القوة فى عالمنا المعاصر وهى الركيزة الأساسية فى بناء المجتمعات لمواكبة عصر المعلومات.. من هنا كان مهرجان القراءة للجميع دلالة على الرغبة الطموحة فى تنمية عالم القراءة لدى الأسرة المصرية أطفالاً وشباباً ورجالاً ونساءً..

وكان صدور مكتبة الأسرة ضمن مهرجان القراءة للجميع منذ عام ١٩٩٤ إضافة بالغة الأهمية لهذا المهرجان كأضخم مشروع نشر لروائع الأدب العربى من أعمال فكرية وإبداعية وأيضاً تراث الإنسانية الذى شكل مسيرة الحضارة الإنسانية مما يعتبر مواجهة حقيقية للأفكار المدمرة.

هكذا كانت مكتبة الأسرة نافذة مضيئة لشباب هذه الأمة على منافذ الثقافة الحقيقية فى الشرق والغرب وعلى ما أنتجته عبقرية هذه الأمة عبر مسيرتها التنويرية والحضارية..

إن مئات العناوين وملايين النسخ من أهم منابع الفكر والثقافة والإبداع التى تطرحها مكتبة الأسرة فى الأسواق بأسعار رمزية أثبتت التجربة أن الأيدى تتخاطفها وتنتظرها فى منافذ البيع ولدى باعة الصحف لهو مظهر حضارى رائع يشهد للمواطن المصرى بالجدية اللازمة والرغبة الأكيدة فى الإسهام فى ركب الحضارة الإنسانية على أن يأخذ مكانه اللائق بين الأمم فى عالم أصبحت السيادة فيه لمن يملك المعرفة وليس لمن يملك القوة.

د. سمير سرحان

تقديـــــم

لا يكاد على محمود طه يحتاج إلى تقديم ، فالجيل الذى انتمى إليه يألف شعره الرقيق وحبه للجمال والطبيعة والحرية ، ويكاد يرى فيه مثلاً لكل ما كنا نصبو إليه صغاراً حين نذكر فنون أوربا وطبيعتها الخلابة ، والجيل التالى لنا يعرفه من قصائده التى سمعها من محمد عبد الوهاب مثل الجندول وكليوباترة ، ونحن وهم لا نملك إلا الشجن عندما نسمع قصيدته الأخرى التى يغنيها عبد الوهاب أيضاً «اخى جاوز الظالمون المدى ...» والتى تتصدر هذه المجموعة .

ولمن لا يعرفون الكثير عن صائغ هذه الدرر البديعة ، نقدم لمحة موجزة عن حياته وشعره ، فالأصل هو النص الشعرى ، وهذا هو لب الكتاب . ولد على محمود طه فى المنصورة عام ١٩٠٢ وتعلم أولاً فى الكتّاب ثم دخل المدرسة الابتدائية ، وبعد أن نال شهادتها ، وُلد عنده - كما يقول شوقى ضيف **(الأدب العربى المعاصر فى مصر)** «شغف بالعلوم التصنيعية ، فرفض الإلتحاق بالمدرسة الثانوية وآثر الإلتحاق بمدرسة الفنون التطبيقية يدرس فيها الهندسة . وفى سنة ١٩٢٤ تخرج حاملاً شهادة تؤهله لمزاولة مهنة هندسة المبانى» .

وقد أقبل على الوظيفة الحكومية لأنها كانت توفر له الوقت الكافى للتأمل والقراءة ، فعمل أولاً موظفاً بسيطاً بهندسة المبانى فى بلدته المنصورة ، وبدأ ينشر قصائده ويلفت الأنظار

إليه ، ولم يبلغ الخامسة والعشرين حتى كان قد تمكن من نشر بعض أشعاره فى جريدة السياسة الأسبوعية ، وساهمت قصائده تلك مع ما كانت الجريدة تنشره فى إذكاء الروح الرومانسية التى كانت تملأ الجو انذاك ، وسرعان ما أصبح علماً من أعلام مدرسة أبولو التى أرست أسس الرومانسية فى الشعر العربى ، والطريف أنه كان يحقق المثل الأعلى الرومانسى الذى كان يريده أصحاب مدرسة الديوان (العقاد وشكرى والمازنى) وهو الصدق - وتحديداً ما كان العقاد ينعى فقدانه فى شعر شوقى أى عدم إفصاح الشعر عن الشاعر .

فكان على محمود طه فى حياته مثالاً لما يقوله فى شعره ، وهذه هى شهادة أحمد حسن الزيات :

كان شاباً منضور الطلعة ، مسجور العاطفة ، مسحور المخيلة ، لايبصر غير الجمال ، ولا ينشد غير الحب ، ولا يطلب غير اللذة ، ولا يحسب الوجود إلا قصيدة من الغزل السماوى ينشدها الدهر ويرقص عليها الفلك .

«كان كالفراشة الجميلة الهائمة فى الحقول تحوم على الزهر، وترف على الماء ، وتخفق على العشب ، وتسقط على النور ، لا تكاد تعرف لها بغية غير السبوح ، ولا لذة إلا التنقل . ثم تتبعته بعد ذلك فى أطواره وآثاره ، فإذا الفراشة الهائمة على أرياض المنصورة تصبح الملاح التائه فى خضم الحياة ، والأرواح الشاردة فى أفاق الوجود ، والأرواح والأشباح فى أطباق اللانهاية وإذا الشاعر الناشئ يغدو الشاعر المحلق تارة

بجناح الملك ، وتارة بجناح الشيطان ، يشق الغيب ويقتحم الأثير ، ويصل السماء بالأرض ، ويجمع الملائكة والشياطين بالناس» .

ويجدر بنا أن نشير هنا إلى الدقة العلمية التى تحراها طه حسين عندما يتحدث عن الشاعر فى **حديث الأربعاء** فهو يتحدث عن شخصية فنية ، بمعنى القناع الذى يلبسه الشاعر فى شعره ويخفى وراءه وجهه الحقيقى ، مهما يكن من شبه بينهما ، فالشعر الذى يقوله الشاعر ليس الشاعر ، ولذلك فطه حسين سباق فى هذا المجال النقدى الحديث .

على أى حال ، ظل على محمود طه يتقلب فى المناصب الحكومية ، فانتقل إلى وظيفة مدير المعرض الخاص بوزارة التجارة ، ثم استقر نهائياً فى القاهرة مديراً لمكتب الوزير ، وبعدها التحق بسكرتارية مجلس النواب ، مما هيأ له التنقل فى القاهرة التى كانت ما تزال روضاً أريضاً ، ومنها كان يسافر إلى خارج مصر بانتظام ويتقن عدة لغات أوربية فى سفراته تلك، ويخرج الديوان بعد الديوان ، ولكن الوظيفة الحكومية التى قربته من السياسة تتنكر له فيستعيض عنها بقرض الشعر ، وعندما يعين آخر الأمر وكيلاً لدار الكتب عام ١٩٤٩ ويبدأفى التفرغ للنظم ، يعاجله القدر المحتوم فيرحل عن الدنيا فى آخر العام (١٩٤٩/١١/١٧) .

والمفتاح لشعر هذا الشاعر هو فكرة الفردية الرومانسية والحرية التى لا تتأتى بطبيعة الحال إلا بتوافر الموارد المادية ،

التى تحرر الفرد من الحاجة ولا تشعره بضغوط الفاقة ، فقد ولد لأسرة ميسورة ونعم فى صباه ورجولته بما يكفى من الموارد للترحال والتنقل ، بحيث لم يكن يستطيع أن يرى سوى الجمال ، وأن يخصص قراءاته فى الآداب الأوربية للمشكلات الشعرية التى شغلت الرومانسيين ، عن الإنسان والوجود والفن وما يرتبط بذلك كله من إعمال للخيال الذى هو سلاح الرومانسية الماضى . وهذا ما يقوله طه حسين :

«إن شخصيته الفنية محببة إلىّ حقاً ، فيها عناصر تعجبنى كل الإعجاب ، وتكاد تفتننى وتستهوينى ، فيها خفة الروح ، وعذوبة النفس ، وفيها هذه الحيرة العميقة ، الطويلة العريضة ، التى لا حدّ لها ، كأنها محيط لم يوجد على الأرض . هذه الحيرة التى تصور الشاعر ملاحاً تائهاً حقاً ، والتى تقذفه من شك إلى شك ، ومن وهم إلى وهم ، ومن خيال إلى خيال ، والتى لا تستقر به على حقيقة حتى تزعجه عنها إزعاجاً وتدفعه عنها دفعاً ، وتقذف به إلى حقيقة أخرى لا يكاد يدنو منها ويتبيّنها بعض الشئ حتى يراها أشد هولاً وأعظم نكراً ، وإذا هو يهرب منها ويجدّ فى الهرب» .

وتأثير شعراء الغرب فيه أوضح من أن يحتاج إلى برهان ، فهو يترجم قصيدة «إلى قبره» للشاعر الانجليزى شلى ، وقصيدة البحيرة للامارتين ، ويقول طه حسين إنه يذكره «تذكيراً قوياً بموسيه» (**حديث الأربعاء** – ص ١٤٦) – وإن لم يكن ذلك التأثير مقصوراً عليه ، فجميع أصحاب مدرسة أبولو قد تأثروا بالغرب وبأنواع النظم الغربى :

وسوف يدرك القارئ لأول وهلة مدى اختلاف شعر على محمود طه عن شعر شاعر مثل شوقى مثلاً ، فشاعرنا هنا من أول من ثاروا على وحدة القافية (بل ووحدة البحر - انظر **فلسفة وخيال**) ناشداً فى ذلك وحدة القصيدة أى الوحدة النفسية التى اقتضته ألا يمزج «أغراض» الشعر بأسلوب شوقى ، ولا أن يسعى لوضع الأبيات التى تشبه الحكم المأثورة ، بل أن يسعى إلى أن تكون كل قصيدة - كما يقول الدكتور هيكل فى **ثورة الأدب** (ص٦٠) بمثابة «فكرة أو صورة أو عاطفة يفيض بها القلب ، فى صيغة متسقة من اللفظ ، تخاطب النفس وتصل إلى أعماقها، من غير حاجة إلى كلفة أو مشقة».

إن إدراك هذا الجهد الذى بذله على محمود طه يفسر لنا كيف وجد المحدثون ، الذين كانوا يبنون بنيانهم على أسس مدرسة أبولو ، يسراً فى صياغة الشعر الجديد ، والانتقال بيسر أكبر إلى وحدة التفعيلة - التى كانت النقلة الطبيعية من حركة التحرر الرومانسى إلى حركة التحرر الحديث فى الأدبين الغربى والعربى جميعاً .

ورغم توقف مجلة أبولو عن الصدور عام ١٩٣٥ فقد استمر على محمود طه يرفع لواءها فى دواوينه المتتالية التى تزامن صدور ستة منها مع سنوات الحرب العالمية الثانية ، دون أن تحس لهذه الحرب أثراً فى شعره ، وإن كنت تسمع أصداء من ينشد للإنسان ويهفو للسلم والحرية ، معلياً قيمة الجمال باعتبارها القيمة الإنسانية العليا (مثل الشاعر

الإنجليزى جون كيتس) وكما يقول الدكتور محمد مندور ، كانت «حاسته الجمالية» هى التى تقيه الابتذال ، حتى حينما يبدو للقارئ أنه يبالغ فى الأوصاف الحسية أو يتحدث عن الخمر (**قضايا جديدة فى الأدب الحديث**) .

ومن تراث الرومانسية الغربية استقى على محمود طه صورة «الشاعر» التى كان العقاد يعليها من قبل ، فهما فى هذا يتفقان رغم اختلاف مذاهبهما الشعرية ، فعلى محمود طه يرى مثل شلى أن الشاعر هو وحده القادر على فهم روح الإنسان ، وأنه وحده القادر على ترجمة هذا الفهم إلى وشائج صلة بين الأرواح ، وإذا كان العقاد ينسب هذه القدرة إلى «الشعور» (مثل وردزورث) فإن شلى هو أيضاً يدين بدين كبير إلى أستاذ الرومانسية الأكبر وردزورث .

وبعد فهذه مختارات قليلة نرجو أن تطفئ غلة الظامئ إلى جمال الشعر العربى الحديث وأن تكون مقدمة لقراءة دواوين الشاعر – ونأمل أن يرى الجيل الجديد فيه ما كنا نراه ، رغم طوفان الشعر الجديد .

د. سمير سرحان

د. محمد عنانى

١ - فلسطين

اخى ، جـاوزَ الظَّالمونَ المَدَى
فـحقٌ الجـهـادُ ، وحَقٌ الفِدا
انتـركـهُمْ يَغـصـبـونَ العُروبةَ
مـجـدَ الأبوّةِ والسـؤددا ؟
وليسـوا بِغَيْرِ صليلِ السيـوفِ
يُجيبـونَ صـوتاً لنا او صـدى
فـجـرِّدْ حـسـامَكَ من غـمـدِهِ
فليسَ لَهُ ، بَعْدُ ، ان يُغـمـدا

* * *

اخى ، أيُّهـا العـربىُّ الأبىُّ
ارى اليـومَ مـوعـدَنَا لا الغَدا
اخى ، اقـبلَ الشـرقُ فى امّةٍ
تردُّ الضلالَ وتُحـيـى الهُدى
اخى ، إنَّ فى القدسِ أختاً لنا
أعَدَّ لهـا الذابحـونَ المُدى
صـبـرنا على غَدْرِهِمْ قـادرينَ
وكنـا لَهُمْ قَدَراً مُرصـدا
طَلَعْنا عليـهمْ طلوعَ المنونِ
فطاروا هَبـاءً ، وصـاروا سُدى

أخى ، قُمْ إلى قبلةِ المشرقَيْنِ

لنحمى الكنيسةَ والمسجدا

أخى ، قُمْ إليها نشقُّ الغمارَ

دماً قانياً ولظى مرعدا

أخى ، ظمئتْ للقتالِ السيوفُ

فأوردْ شبَاها الدمَ المُصْعدا

أخى ، إن جَرَى فى ثراها دمى

وشبَّ الضرامُ بها موقدا

ففتِّشْ على مهجةٍ حُرَّة

أبَتْ أن يَمُرَّ عليها العِدا

وَخُذْ رايةَ الحقِّ من قبضةٍ

جلاها الوَغَى ، ونماها النَّدى

وَقَبِّلْ شهيداً على أرضها

دعا باسمِها اللهَ واستشهدا

فلسطينُ يَفدى حِماكِ الشبابُ

وجلَّ الفدائى والمُفتدى

فلسطينُ تحميكِ منا الصدورُ

فإمَّا الحياة وإمَّا الرَّدى

٢ - مصر

هَوىً لكِ فيهِ كلُّ ردىً يُحَبُّ
فَديتُكِ ! هل وراءَ الموتِ حُبُّ ؟
فديتُكِ مصرُ ، كلُّ فتىً مشوقٌ
إليكِ ، وكلُّ شيخ فيكِ صَبُّ
ويحلمُ بالفِدَى طفلٌ فطيمٌ
وكلُّ رضيعةٍ فى المَهْدِ تحبُو
أراكِ و أينما وليتُ وجهى
أرى مهَجاً لوجهكِ تَشْرئبُ
وأرواحاً عليكِ محوِّمات
لها فوقَ الضِّفافِ خُطىً ووثْبُ
عليها من دَمِ الغادينَ غارٌ
له بيديكِ تضفيرٌ وعَضبُ
حَمَتْكِ صدورُها يومَ التَّنادى
ووقَّتْكِ الليالىَ وهىَ حَرْبُ
إذا رامتكِ عاديةٌ وشقَّتْ
فضاءَكِ غيلةٌ ورماكِ خَطْبُ
دَعَتْ بالنَّهرِ فَهُوَ لَظىً ووقْدٌ
وبالنَّسمات فهى حصىً وَحصْبُ

وبالشجرِ المنوَّرِ فهو غيلٌ
وكلُّ غُصونِهِ ظُفرٌ وخِلْبُ
حقائقُ عن يدِ الإيمانِ ترمى
صواعقَ وَمْضُها رُجْمٌ وشُهْبُ
لها فى مهجةِ الجبَّارِ فَتكٌ
وفى عينيهِ إيماضٌ وسكْبُ
صَنائعُ كالغنائيَّاتِ يَشْدُو
بها شرقٌ ، ويُلْقِى السمعَ غَرْبُ

✍ ✍ ✍

٣ - أغنية الجندول

فى كَرنفال ڤينيسيَا

أين منّ عــينىً هاتيكَ المجــالى
يا عروسَ البحرِ ، يا حُلْمَ الخيالِ
اينَ عُشّاقُكِ سُمّارُ الليــــالى
أين من واديكِ ، يا مـهـدَ الجـمـالِ
موكبُ الغيدِ وعيدُ الكرنـڤـال
وسُرَى الجُندولِ فى عَرْضِ القنالِ
بين كـأسٍ يتـشـهّى الكرمُ خـمـرَهْ
وحـبـيبٍ يتـمنّى الكأسُ ثغـرَهْ
إلتــقتْ عــينى بهِ أوّلَ مـــرّهْ
فــعـــرفتُ الحبَّ من أوّلِ نظرَهْ
اينَ من عــينىً هاتيكَ المجــالى
يا عروسَ البحرِ ، يا حُلْمَ الخيالِ
مرَّ بى مُستضحِكاً فى قُرْبِ سَاقى
يَمــزُجُ الراحَ باقــداحٍ رِقــاقِ
قــد قَصَدْناهُ على غَيْرِ اتفــاقِ
فنظرنا ، وابتــســمنا للتّلاقى

وهو يَسْـــتــهــدِى على المَفْرِقِ زهرَهْ

ويُســـــــــوِّى بِيَدِ الـفِتْنَة شَعْرَهْ

حـــينَ مـــسَّتْ شَفَتِى أوّلُ قطرَهْ

خِلْتُهُ ذوّبَ فـى كـــــاســىَ عِطْرَهْ

أينَ منْ عــينىَّ هـاتيكَ المجـــالى

يا عـروسَ البحـرِ ، يا حُلْمَ الخيـالِ

قلتُ ، والنشوةُ تسرى فى لسانى :

هاجتِ الذكـرى ، فـأينَ الهَرَمـانِ ؟

أين وادى السِّحرِ صدّاحُ المغانى ؟

أينَ مـــاءُ النيل ؟ أين الضفّتان ؟

آهِ ، لو كنتَ مــعى نخــتــالُ عَبْرَهْ

بشــــراعٍ تَســـــبحُ الأنجمُ إثْرَهْ

حـــيث يَروى الموجُ فـى أرخمِ نَبْرَهْ

حُلْمَ ليلٍ من ليـــالى كليـــوبتـــرَهْ

أينَ منْ عــينىَّ هـاتيكَ المجـــالى

يا عـروسَ البحـرِ ، يا حُلْمَ الخيـالِ

أيهـا الملاحُ ، قِفْ بينَ الجـســورِ

فــتنةِ الدنيــا ، وأحــلامِ الدهورِ

صــــفّقَ الموجُ لـولدانٍ وحـــــورِ
يُغــرقــونَ اللّيلَ فـى يَنبـــوعِ نورِ
مــــا ترى الأغْيَدَ وضَّاءَ الأسرَّةْ ؟
دقَّ بـالسَّاقِ وقــــــد أسلَمَ صَدْرَهْ
لِمُحبٍّ لـفَّ بـالســـــاعدِ خَصْرَهْ؟
ليتَ هذا الليلَ لا يُطلِعُ فـــجـــرَهْ !
أينَ مـنْ عــــينىَّ هـاتيكَ المجـــالى
يا عـروسَ البحـرِ ، يا حلْمَ الخيـالِ
رَقَصَ الجُندولُ كـــالنَّجْمِ الوضـىِّ
فاشْدُ ، يا ملاحُ ، بالصوتِ الشجىِّ
وترَنَّمْ بـالـنـشــــــيـــــــدِ الوثَنىِّ
هذهِ الـليـلـةُ حلْمُ العَبـــــقـــــرىِّ

شـاعتِ الفـرحـةُ فـيـهـا والمَسـرَّةْ
وجَلا الحُبُّ عــلـى الـعُشَّاق سِرَّهْ
يَمْنـةً مِلْ بـى ، عـلـى المـاءِ ، ويَسْرَهْ
إنَّ لـلـجـنـدولِ تحتَ الـلـيـلِ سِحْرَهْ
أينَ ، يـا ڤينيسيا ، تلك المجـالى ؟
أينَ عُشــــاقُكِ سُمَّارُ الـلـيـــالى ؟

أينَ من عـينيَّ أطيـافُ الجـمـالِ ؟

مَوْكبُ الغْيدِ وعيَدُ الكرنفـالِ ؟

يا عروسَ البحر ، يا حلْمَ الخَيالِ !!

✍ ✍ ✍

٤ - ليالى كليوبتره

كليوبترا ! أىُّ حُلْمٍ من لَياليكِ الحسانِ
طافَ بالمَوْجِ فغنّى ، وتغَنَّى الشاطئانِ
وَهفَا كلُّ فؤادٍ ، وشدَا كلُّ لسانِ :
هذهِ فاتنةُ الدُّنيا وحسناءُ الزَّمانِ

بُعِثَتْ فى زورقٍ مُسْتَلْهَمٍ من كلِّ فنِّ
مَرِحِ المجدافِ يختالُ بحوراءَ تُغنِّى
يا حَبيبى ، هذهِ ليلةُ حُبِّى
آهِ لو شاركتَنى أفراحَ قَلْبى !

نبأةٌ كالكأسِ دارتْ بين عُشَّاقٍ سُكارَى
سَبَقَتْ كلَّ جَناحٍ فى سماءِ النيلِ طارا
تحملُ الفتنةَ ، والفرحةَ ، والوجدَ المُثَارا
حلوةٌ صافيةُ اللَّحْنِ كأحْلامِ العذارى

حُلْمُ عَذراءَ دعاها حبُّها ذاتَ مساءِ
فتَغَنَّتْ بشراعٍ من خَيالِ الشعراءِ
يا حَبيبى ، هذهِ ليلةُ حُبِّى
آهِ لو شاركتَنى أفراحَ قَلْبى !

وتَجَلّى الزورقُ الصاعدُ نشوانَ يَميدُ
يَتَهَدّاهُ على الموجِ نَواتِيٌّ عبيدُ
المجاديفُ بأيديهِمْ ، هتافٌ ، ونشيدُ
ومُصَلّونَ لَهُمْ في النهرِ مِحرابٌ عتيدُ
سَحَرَتْهم رَوْعَةُ اللّيلِ فَهُمْ خَلْقٌ جَديدُ
كلُّهمْ رَبٌّ يُغَنّي وإلهٌ يَستعيدُ
يا حَبيبي ، هذهِ ليلةُ حُبّي
آهِ لو شارَكْتَني أفراحَ قَلْبي !
إصدَحي ، أيتها الأرواحُ ، باللّحْنِ البديعِ
إمرَحي ، يا راقصاتُ الضوءِ ، بالموْجِ الخليعِ
قَبِّلي ، تحتَ شراعي ، حُلُمَ الفنِّ الرفيعِ
زورقاً بينَ ضفافِ النيلِ في ليلِ الرَّبيعِ
رنَّحَتْهُ موجةٌ تَلعبُ في ضوءِ النُّجومِ
وتنادى بشعاعٍ راقصٍ فوقَ الغيومِ
يا حَبيبي ، هذهِ ليلةُ حُبّي
آهِ لو شارَكْتَني أفراحَ قَلْبي !
ليلُنا خمرٌ وأشواقٌ تُغَنّي حولنا
وشراعٌ سابحٌ في النُّورِ يَرْعَى ظِلَّنا

كانَ فى اللّيلِ سُكارَى ، وأفاقوا قبلَنَا
لَيْتَهُمْ قد عَرَفوا الحبَّ فباتوا مثْلَنَا
كلّما غرّدَ كأسٌ شربوا الخمرةَ لحناً
يا حبيبى ، كلُّ ما فى اللّيلِ روحٌ يتغنّى
هاتِ كـــــأسى ، إنهـــــا ليلةُ حُبِّى
آهِ لو شـــاركـــتَنى أفـــراحَ قلْبى !
يا ضِفافَ النيلِ باللهِ ويا خُضْرَ الروابى
هل رأيتنَّ على النَهْرِ فتىً غَضَّ الإهابِ
أسمرَ الجبهةِ كالخمرةِ فى النُّورِ المُذابِ
سابحاً فى زورقٍ من صنْعِ أحلامِ الشبابِ ؟
إنْ يكُنْ مَرَّ وَحَيَّا من بعيدٍ أو قريبِ
فَصِفيهِ ، وأعيدى وصْفَهُ ، فهو حبيبى!
يا حَبـــيـــبى ، هذهِ ليلةُ حُبِّى
آهِ لو شـــاركـــتَنى أفـــراحَ قلْبى !
أنتِ يا من عُدْتِ بالذكرى وأحلامِ الليالى
يا ابنةَ النّهر الذى غَنَّاهُ أربابُ الخيالِ
وتمنَّتْ فيهِ لو تسبحُ ربّاتُ الجمالِ
موجهُ الشّادى عشيقُ النُّور ، معبودُ الظِّلالِ

لم يَزَلْ يَروِى ، وتُصغى للرواياتِ الدهورُ
والضفافُ الخضْر سكرى ، والسَّنى كأسٌ تدورُ
حُلُمٌ لم ترْوِهِ ليلةُ حُبٍّ
فاذكريه ، واسمعى أفراحَ قلبى !

✍ ✍ ✍

٥ - العام الهجرى الجديد

غَنِّ بالهجرة : عاماً بعدَ عامِ
وادْعُ للحقِّ ، وبشِّرْ بالسَّلامِ
وترسَّلْ ، يا قَصيدى ، نَغَماً
وتنقَّلْ بين مَوْجٍ و غمامِ
صوتُكَ الحقُّ ، فلا يأخُذْكَ ما
فى نواحى الأرضِ من بَغْيٍ و ذامِ
كُنْ بشيرَ الحبِّ والنورِ إلى
مُهَجٍ كلْمَى ، وأكبادٍ دَوامى
هَجَرَتْ أوطانَهَا واغتربتْ
فى مثالىٍّ من المبدإ سامِ
اِنفَتْ عيشَ الرقيقِ المجتَبى
وأبَتْ ذُلَّ الضَّميرِ المسْتَضامِ
يا دُعاةَ الحقِّ : هذى محنةٌ
تُشْعِلُ الرُوحَ بمشبوبِ الضِرامِ
هذهِ حربُ حياةٍ ، أو حِمامِ
وصراعُ الخيرِ ، والشرِّ العُقامِ

خـاضـهـا الإسـلامُ فـرداً ، وهَدَى
بيـــراعٍ ، وتحــدَّى بحـــســـام
هـجـــرةٌ كـــانت إلى اللهِ ، وفى
خطْوِهَا : مـــولِدُ أحْداثٍ جِســـام
أخطأ الشــيطانُ مَسْراها ، فــيـا
ضَلَّةَ الشــيطانِ فى تلك المَوامى !
آبَ بالخَيْبَةِ مـن غـــــايتــــــهِ
وهو فــوقَ الأرضِ ملعــونُ المقــام
صـــفــحــاتٌ من صـــراعٍ خـــالدٍ
ضُمِّنَتْ كلَّ فـــخـــارٍ ووســـام
لـم تُتَحْ يومـــاً لجـــبّارٍ طَغَى
أو لبـــاغٍ فـــاتكِ السَّيفِ عُرامِ
بـل لدَاعٍ أعـــزلٍ فـى قـــومِهِ
مـسـتـبـاحِ الدَّمِ مـهـدورِ الذِّمـامِ
زلـزلَ الـعــــــالـمَ من أقـطـارِهِ
بِقُوىَ الرُّوحِ على القَوْمِ الطُّغــامِ
وبَنَى أوَّلَ دنـيـــــــــا حُرَّةٍ
بَرِئــتْ مـــن كــلِّ ظـلــمٍ وآثـــامِ

تَسَعُ النـاسَ علـى الـوانـهـم
لم تـفـرِّقْ بين آرئٍ وسـامى ،

* * *

حـاطِمَ الأصنامِ : هَلْ منكَ يَدٌ
تَذَرُ الظلمَ صـديعـاً من حُطامِ ؟
لم تُطِقْهـا حـجَراً او خَشَبـاً
ويُطاق اليـومَ أصنامُ الأنامِ !!
وعـجـيبٌ صُنْعُهم فى زمنٍ
أبْصَرَ الأعـمى به والمتَعـامى !
وتُرجى عـودةَ المجـدِ الذى
أعجـزَ البَانى ، وأعيَا المتسامى
من بيـوتٍ هاشـميَّاتِ البنَى
وعُروشٍ أمـويَّاتِ الدعـامِ
ونتـاجٍ من نُهىً جـبَّارةٍ
وتراثٍ من حَضَاراتٍ ضـخـامِ
قلْ لها ، يا عامُ : لا هُنْتِ ، ولا
كنتِ إلا مـهـدَ أحـرارٍ كـرام
ذاكَ مـجـدٌ لم ينَلْهُ أهلُه
بالتـمنِّى ، والتـغنِّى ، والكلامِ

بل بـآلامٍ ، وصـــــبْرٍ وضـنـىً
وبمـــوعٍ ، ودمٍ حُرٍّ سـجـــامِ
قُلْ لـهـــا : إنَّ الـرَّحـى دائـرةٌ
واللَّيـــالى بيْنَ كــرٍّ وصــدامِ
فـاسـتـعـدى لغـدٍ إنَّ غـداً
نُهْزَةُ الســبَّاقِ فى هذا الزحـامِ !
واجــمــعى أمــركِ لليَوْمِ الذى
يَحْمِلِ البُشْرَى لعُشَّاقِ الســلامِ !

✍ ✍ ✍

٦ - البحيرة

عن ألفونس لامارتين

ليتَ شعري أهكذا نحنُ نمضي

فى عُبابٍ إلى شواطئَ غُمْضِ

ونخوضُ الزمانَ فى جُنْحِ ليلٍ

أبديٍّ ، يُضنى النفوسَ ويُنضى

وضفافُ الحياةِ ترمقُها العيـ

ـنُ فبعضٌ يمرُّ فى إثرِ بعضِ

دون أنْ نملكَ الرجوعَ إلى ما

فاتَ منها ، ولا الرسوَّ بأرضِ ! ؟

* * *

حدِّثى القلبَ ، يا بحيرةُ ، مالى

لا أرى « أولفيرَ » فوقَ ضفافِكْ

أوْشكَ العامُ أن يمرَّ ، وهذا

موعدٌ للقاءِ فى مُصطافِكْ

صخرةَ العهدِ ! ويكِ ، هأنذا عُدْ

تُ ، فماذا لديكِ عن أضيافِك ؟

عدتُ وحدی أرعَی الضفافَ بعینٍ
سفکتْ دمعَها اللیالی السوافِكْ

* * *

کنتِ بالأمسِ تهدرینَ کما أنـــ
ـــتِ هدیراً یهـــزُّ قلبُ السکونِ
وضـــفـــافٍ أمـــواجُهَا یتـــداعـــ
ـــینَ علی هذهِ الصخورِ الجونِ
والنســـــیمُ العلیلُ یدفعُ وَهْنًا
زَبَدَ الموجِ للرُّبی والحـــــزونِ
ملقـــیـــاً رغـــوَها علی قَدَمَیْهـــا
لیِّنَ المسَّ مســــتحبُّ الأنینِ

* * *

أتُری تذکـــرینَ لیلةً کنا
منكِ فوقَ الأمواجِ ، بینَ الضفافِ
وســـری زورقٌ بنا یتـــهـــادی
تحتَ جنحِ الدُّجی وسترِ العفافِ ! ؟
فی سکونٍ ، فلیسَ نسمعُ فوق المـــ
ـــوجِ إلا أغـــانیَ المجـــدافِ

تتــلاقى على الرُّبى والحــوافى

بأناشــيــدِ مــوجِكِ العــزّافِ ؟ ؟

* * *

وعلى حــــينِ غـــرةٍ رنَّ صـــوتٌ

لـم يُعَوَّدْ ســـــمـــــاعَه إنسىُّ

هبطَ الشـاطىءَ الطروبَ فـما يُسمـ

ــعُ فــيـــهِ للهـــاتفـــاتِ دوىُّ

وإذا الليلُ ســـــاهمٌ سكَنَ النو

ءُ إليـــــــهِ وانـصتَ اللـجـىُّ

يتلقى عن نبــأةِ الصــوتِ نجــوى

كـلـمــــــاتٍ ألـقـى بـهـنَّ نجـىُّ

* * *

يا زمــانـاً يمــرُّ كــالطيــرِ مــهــلاً

طائرٌ أنتَ ؟ ويكَ ، قِفْ طيــرانَكْ !

أهنـاءَ الســاعــاتِ تجــرى وتعــدو

نا عطاشــاً ، فـقف بنا جـريانك !

ويكَ دَعنـا نمرحْ بـأجــــملِ أيا

مٍ ونَلقى ، من بَعْدِ خـوفٍ ، أمــانكْ

وإذا نحن لَذَّةَ العيش نقنا

ها ومرَّت بنا فَنُرٌ دوَرَانكْ !

* * *

بَيْدَ أنَّ الشقاءَ قد غمَرَ الأر

ضَ وفاضَ الوجودُ بالتاعسينا

كلهمْ ضارعٌ إليك يرجِّيك

فأسرعْ ! أسرعْ ! إلى الضَّارعينا

وافترس مُشْقِيات أيامهمْ وامـ

ـضِ رحىً تطحنُ الشقاءَ طحونا

رحمةً ، فاذكرِ النفوسَ الحزانى

وانسَ ، يا دهرُ ، أنفسَ الناعمينا !

* * *

عبثاً أنشدُ البقاءَ لعهدٍ

يَفْلِتُ اليومَ من يدى ويفرُّ

وسويعاتِ غبطةٍ ما أراها

ووشيكاً ما تنقضى وتمرُّ

وأنادى يا ليلةَ الوصلِ قرِّى

إن بعد السُّرى يطيبُ المقرُّ

أســـفــاً للصبِّــا وغــرٍّ ليــالٍ
ليس يُبـقى على صبـاهنَّ فـجـرُ

* * *

فـلـنـحـبَّ الـغـــــداةَ ولـنـحـىَ حُبًّا
ولنكنْ فى الحيـاةِ بعـضـاً لبـعضٍ
ولنســـارعْ فنقـتـفى إثرَ ســاعــا
تٍ فــقــد توْذنُ النوى بالتـقـضِّى
إننا فى الـحـيــاةِ فى عُرْضِ بحــرٍ
ليس نُلقى المرســاةَ فــيــهِ بأرضٍ
مــا بـه مــرفــأ يَبــينُ ولكنْ
نحن نمضى فى لجِّه ، وهو يمضى !

* * *

أكـــذا أنتَ ، أيهـــا الزَمَنُ الحـــا
قــدُ ، تغـتــالُ نشــوةَ اللحظاتِ ؟
حــيثُ يُزجِى لنا الســعــادةَ أمــوا
جــاً من الحبِّ زاخــرُ اللجــاتِ ؟
أكــذا أنت ، ذاهبٌ بليــالى الصـــ
ـــفــوِ عنا ســـريعـــةَ الخطواتِ ؟

أكـذا تنقـضى مـــلاوةُ نعـــمــا

ها كما ينقضى شقاءُ الحياة ؟

* * *

كيفَ حدَّثْ : أغالها منك صرفٌ

فى ابيدِ الزَّمانِ حيثُ طواها ؟

ويكَ ، قل لى ، أليسَ نملكُ يومـــاً

أن نراها ؟ أمـــا تبـــينُ خُطاها ؟

أتراها ولَّتْ جـــمـــيـــعـــاً ، ولما

تبقَ حـــــتى اثارُها ، أتراهـا ؟

أوَذاكَ الدهرُ الذى افتنَّ فى صـــو

غِ صباها هو الذى قد محاها ؟

* * *

أيُّهـذا الزمـــانُ ، والعـدمُ الحيا

تى ، غريقين فى سكونٍ وصمتِ

ايْ عـمـيقَ اللجـاتِ : مـاذا بأيا

مِ صـبـانا ؟ مـاذا بهنَّ صنعتِ ؟

حـدثينى ، أمـا تعـيـدينَ مـا من

سكراتِ الغـرامِ منا اخـتطفتِ ؟

أوَ مــا تُطلقــينهــا من دياجــيــ

ـكِ ؟ أمـا تبـعـثـينهـا بعدَ مـوتِ ؟

* * *

أنتِ ، يا هذهِ البـحـيـرةُ ، مــاذا

يـكـتمُ المـوجُ فـــــيكِ والـشـطـآنُ

أيـهـــــا الـغــــابةُ الـظليـلةُ رُدِّى

أنت ، يا من أبقى عليـهـا الزمـانُ

وهـو يسـطيعُ أن يُجِدَّكِ حــسناً ! !

إحــفظى لا أصــابَكِ النسـيـانُ ! !

قلْ حــفطاً أن تذكــرى ليلةً مــرَّ

تْ وأنتِ الطبــيــعــةُ الحــسَّانُ

* * *

ليَكُنْ منكِ ، يا بحــيــرةُ ، مــا لجَّ

بكِ الصـمـتُ أو جنونُ اصـطخـابكْ

فى مـــغــانيكِ حـــاليــاتٍ تراءى

ضــاحكاتٍ على سـفـوحِ هِضـابكْ

فى مــروج الصَّنوبرِ الحـوِّ تهـفـو

ســابغـاتُ الأليـافِ حولَ شـعـابكْ

فى نتوءِ الصـخورِ ، مشرفةِ الأعنا
قِ ، بيـضـاً ، تُطلُّ فـوقَ عُبـابكْ

* * *

وليكنْ فى العُبـاب يهـدرُ أمـ
ـواجاً على شاطئيك مثلَ الرعودِ
فى انتحابِ الرياح تُعول فى الودي
ـانِ إعـوالَ قلبىَ المفـؤودِ
فى صـدى الجـدولِ الموقّع أنّا
تِ حـشـاهُ بالجندلِ الجلمـودِ
فى شـذاكِ السـرىِّ ينشقُ منه الـ
ـقلبُ ريّا فـردوسـهِ المفـقـودِ ! ؟

* * *

وليكن فى النسـيم مـا هبَّ سـار
يهِ يجـوبُ الشطآن نحـوكِ جَوْبا
فى جـبـينِ النجمِ اللجـينىِّ يُلقى
فِضةَ الضـوءِ فى مـيـاهكِ ذَوْبا
وليكنْ فى شـتـيتِ مـا تسـمعُ الأذ
نُ ، وفـيـمـا نراهُ عـيناً وقلبـاً

ليكنْ هـاتفٌ منَ الصـــوتِ يتلو

« قـد أحـبًّا وأخلصـا مـا أحـبـا »

✍ ✍ ✍

٧ - قبر شاعر

رثاء فوزى المعلوف

رفّت عليهِ مورقاتُ الغصونْ
وحفَّهُ العشبُ بنوّارِهِ
ذلكَ قبرٌ لم يُشدْهُ المنونْ
بلْ شادهُ الشعرُ بآثارِهِ
أقامَهُ من لبِناتِ الفنونْ
وزانهُ المجدُ بأحجارِهِ
ألقى به الشاعرُ عِبءَ الشجونْ
وأودعَ القلبَ بأسرارِهِ

* * *

وجاورتْهُ نخلةٌ باسقَهْ
تجثُم فى الوادى إلى جنبِهِ
كأنها الثاكلةُ الوامقَهْ
تقضى مدى العُمْرِ إلى قربِهِ
تئنُّ فيها النسمةُ الخافقَهْ
كأنما تخفقُ عن قلبِهِ

وتُرسلُ الأغنيةَ الشائقةْ
قمْريةٌ ظلّتْ على حبِّهِ

* * *

ويُقبلُ الفجرُ الرقيقُ الإهابْ
يحنو على القبرِ بأضوائهِ
كأنما ينشُدُ تحتَ التراب
لؤلؤةً تُزرى بلألائهِ
إستلَّ منها الموتُ ذاكَ الشهابْ
غيرَ شُعاعٍ ، فى الدُّجى ، تائه
يَظَلُّ يهفو فوقَ تلكَ الشعابْ
يطوفُ باليَنبوعِ من مائهِ

* * *

ويذهبُ النُّورُ ويأتى الظلامْ
وتبزغُ الأنجمُ فى نسقهِ
حيرى ، تحوم الليلَ كالمستهامْ
أسهرهُ الثائرُ منْ شوقهِ
تبحثُ عن نجمٍ بتلكَ الرجامْ
هوتْ به الأقدارُ عن أفقهِ

أخٌ لهـــا فى الأرضِ ودُّ المقـــامْ

وأثر الغـــربَ على شــــرقـــهِ

* * *

ويُطلقُ الطيـرُ نشـيـدَ الصـبـاحْ

بنغـــمــــةٍ تصـــدُرُ عن حُزنهِ

يَمُدُّ فـــوقَ القـــبـــرِ منهُ الجناحْ

ويـرسـلُ المـنقــــــارَ فـى ركـنـهِ

أفــضى إلى الراقــدِ فــيــه وَبـاحْ

بـــأنَّهُ المـــلــهــمُ مـــن فـــنِّهِ

فَمِنْ قــوافــيــهِ اســتــمــدَّ النُّواحْ

ومن أغـــانيـــهِ صـــدى لحنهِ

* * *

وحـــين تمضى نَسَمَاتُ الخـــريفْ

وتمـلأُ الأرضَ ريـاحُ الـشـــتـــاءْ

ويقـــبلُ الليلُ الدَّجِيُّ المخـــيفْ

فــلا ترى نجـمــاً ينيـرُ السـمــاء

هناكَ لا غـــصنٌ عليـــهِ ورَيفْ

يهــفــو ، ولا طيــرٌ يـثـيـرُ الغناء

يظلِّلُ الأرضَ الظلامُ الكثيفْ
كأنما تُمسى بوادى الفناءْ

* * *

يا شاعراً ما جمعتنى بهِ
كواكبُ الليلِ وشمسُ النهارْ
لكنَّه الشرقُ وفى حبِّهِ
ينأى بنا الشوقُ وتدنو الديارْ
سكبتَ من شجوكَ فى قلبه
ومن مآقيكَ الدموع الغِزار
فودَّ أنْ لو نمْتَ فى تربهِ
ليشفىَ النفسَ بهذا الجوارْ

* * *

قد راعنى موتُكَ ، يا شاعرى
فى ميعةِ العمرِ وفجرِ الشبَابْ
وهزَّنى ما فاضَ من خاطرٍ
كانَ ينابيعَ البيانِ العِذَابْ
ونفثاتُ القَلَمِ الساحرِ
فى جوِّكَ الأفقَ وطىَّ السحابْ

ووقــــفـــةٌ بالكوكبِ الحـــائرِ

رأى بســـــاطَ الريحِ يدنو فَهَابْ

* * *

لكنّهُ شـــــعـــــركَ لمّا يَزَلْ

يُردّدُ الكونُ أناشـــــيــــدَهُ

شعِــرٌ كَصــوْبِ الغــيثِ أنّى نزلْ

أرقصَ فى الرَوْضِ أمـــاليــــدَهُ

وعلّم الطيــــرَ الهـــوى والغَزَلْ

فـــأســـمعَ الزهرَ أغـــاريدَهُ

وَغَنَّتِ الــريــحُ بـــه فـــى الجَبَلْ

فـــحـــركتْ منهُ جـلامــيــدَهُ

* * *

يا قـــبـــرُ لم تُبْصِرْكَ عـــينى ولا

رأتك إلا فى ثنايا الخـــيـــالْ

مـــلأتَ بالرَّوْعِ فـــؤاداً خـــلا

إلا من الحبِّ ونورِ الجـــمـــالْ

أوحـــيتَ لى ســـرَّ الردى فـــانجلى

عن عـــينىَ الشكُّ وليلُ الضـــلالْ

هكذا ستطوى القلبَ أيدى البلى

ويقنصُ النجمَ عــقــابُ الليــالْ

* * *

هكذا تمضى ليــالى الحــيــاهْ

والقــبـــرُ مـــازالَ على حـــالهِ

دنيــــــا مـن الـوَهْمِ ودهـرٌ تـراه

يـغَرِّرُ الـقـلـبَ بـآمــــــالـهِ

يسـخـرُ من مـبـتـسـمـاتِ الشـفـاهْ

وجــــامـــــدِ الدمـعِ وسيَّالـهِ

دهرٌ على العــالـمِ دارتْ رحـــاهُ

فـلـم تَدَعْ رســــــمـــــاً لأطـلالـه

✍ ✍ ✍

٨ - شاعر مصر

فى رثاء حافظ إبراهيم

دَعَوْتَ خَيالى فاستجابتْ خواطرى
وحــــــدَّثنى قلبى بأنكَ زائرى
عَشيَّةَ أغرى بِى الدُّجى كلُّ صائحٍ
وكلُّ صــدىً فى هَدْأةِ الليلِ عــابرِ
أقــولُ مَنِ السَّارى ؟ وأنتَ مُقَاربِى
وأهتفُ بالنَّجْوَى ، وأنتَ مُجــاوِرى
أُحِسُّكَ مِلءَ الكونِ رُوحــاً وخــاطراً
كــأنَّك مــبــعــوثُ الليــالِى الغــوابرِ
ومــثَّلَ لى سـمْعى خُطاكَ ، فـخِلْتُها
صدَى نبأٍ من عالمِ الغَيْبِ صــادرِ
سِوى خطراتٍ من بَنانٍ رفــيــقــةٍ
طَرَقْتَ بهــا بابى فَهَبَّتْ ســرائرى
عـرفـتُكَ ، لم أســمعْ لصـوتِكَ نَبْأةً
وشِمتُكَ ، لــم يَلْمَحْ مُحَيَّاكَ نــاظـرى
أرى طَيْفَ معشوقٍ ، أرى روحَ عاشقٍ
أرى حُلْمَ أجيالٍ ، أرى وجهَ شاعرِ

* * *

إِلَيْكَ ضِفافَ النيل ، يا روحَ حافظٍ ،

فَجدِّدْ بها عهدَ الأنيسِ المُسامِرِ

وساقِطْ جَنَاها من قوافيكَ سَلْسَلاً

رَخِيماً كأزْهامِ النَّدى المُتناثِرِ

سَرَتْ فيه أرواحُ النَّدامَى ، وصَفَّقَتْ

كؤوسٌ على ذِكْرِ الغريبِ المسافِرِ

نَجِيُّ الليالى القاهريَّاتِ : طُفْ بها

خَيَالَةَ ذكرى ، أو عُلاَلَةَ ذاكرِ

وجُزْ عالَمَ الأشباحِ ، فالليلُ شاخصٌ

إليكَ ، وأضواءُ النجومِ الزَّواهرِ

وطالِعْ سماءً فى مَعَارجِ قُدْسِها

مَرِحْتَ بِوُجْدانٍ من الشِّعرِ طاهرِ

وسَلْسَلْتَ من أندائها وشُعاعِها

جَنَى كَرْمَةٍ لم تَحْوِها كفُّ عاصرِ

تَدَفَّقَ بالخمرِ الإلهىِّ كأسُها

فغَرَّدَ بالإلْهَامِ كلُّ مُعاقِرِ

عَلَى النِّيل رُوحانيةٌ من صفَائِها

وَلألاءُ فجرٍ عن سَنَا الخُلْدِ سافرِ

فـــصــــافِحْ بعــينيكَ الدِّيارَ فطالما
مَدَدْتَ على آفـــاقِهـــا عـــينَ طائرِ
وخُذ فى ضِفافِ النهر مَسْراكَ ، واتَّبِعْ
خُطَى الوحْيِ فى تلكَ الحقولِ النَّواضرِ
حـــدائقُ فـــرعَونٍ بدفَّاقِ نَهـــرِها
وجَنَّتُهُ ذاتُ الجَنَى والأزَاهــــــــرِ
وفى شُعَبِ الوادى ، وفـوقَ رمـــالِه
عِصىُّ نبىٍّ ، أو تَهَاويلُ ســـاحـــرِ
صـوامعُ رُهْبـانٍ ، مَحـاريبُ سُجَّدٍ ،
هيـاكِلُ أربابٍ ، عـروشُ قـيـاصـرِ
سَرَى الشـعرُ فى باحـاتها روحَ ناسكٍ
وترديدَ أنفـاسٍ ، ونَجْوَى ضـمـائرِ
وهمْسَ شِفـــاهٍ تَشْمَلُ الروحُ عندَهُ
وتَسْبَحُ فى تِيـهٍ من السِّحْرِ غـامـرِ
هو الشـعرُ ، إيقاعُ الحياةِ وشَدْوُها
وحلْمُ صبِـــاها فى الرَّبيعِ المُبـــاكِرِ
وصـوتٌ بـأسـرارِ الطبـيـعـةِ ناطقٌ
ولـكنَّه روحٌ ، وإبداعُ خـــــــاطرِ

ووثْبَةُ ذِهنٍ ، يَقْنِصُ البــرقَ طائراً
ويغــزو بروجَ النَّجْمِ غـيـرَ مُحــاذِرِ
فـيـا دُرَّةً لم يحـوِها تاجُ قـيـصـرٍ
ولا انتظمتْ إلا مــفــارقَ شــاعِرِ
تألَّه فـيكِ القلبُ واسـتكبـرَ الحِجَى
على دَعَةٍ ، من تَحْتــهــا روحُ ثائرِ
إذا اعترضَ الجبَّارُ ضَوءَكِ شامخاً
تَلقَّيْتِهِ كـــبْراً ببَسْمَةِ ســــاخـــرِ
لَستِ حــديدَ القَيْدِ فــانحلَّ نظمُهُ
وأطلقتِ أســــرَى من براثنِ آسِرِ
ومـا زِدْتِ فـى الأحـداثِ إلا صـلابةً
إذا النَّارُ نالتْ من كِرامِ الجـوَاهـرِ
يزينُ بكِ الرَّاعى ســقــيـفــةَ كُوخِهِ
فــتــخــشَعُ حَيْرَى نيِّراتُ المقـاصـرِ
أضاعوكِ فى أرضِ الكنوزِ ، وما دَرَوْا
بـأنكِ كَنْزٌ ضَمَّ أغْلَى الذَّخــــائـرِ
وهُنتِ على مــهـدِ الفنونِ ، وطالما
ســمــوتِ بسلطانٍ من الفنِّ قــاهِرِ

إذا افــتــقــدَ التــاريخُ آثارَ أمَّةٍ
أشَرْتِ بمـا خـلَّدتهِ مـن مــــــآثـرِ

* * *

سَلاماً ، سَلاماً ، شاعرَ النيلِ : لم يزَلْ
خـــيـــالُكَ يَغْشَى كلَّ نادٍ وســـامرِ
وشــعــرُكَ فى الأفــواهِ إنشــادُ امــةٍ
تغنَّتْ بماضٍ واســتـعـزَّتْ بحـاضرِ
وذِكْراكَ نَجْوى البائسينَ ، إذا هَفَتْ
قلوبٌ ، وحـارتْ أدْمُعٌ فى المَحـاجِرِ
يَدُلُّ عـلـيـكَ الـقـلـبَ أنَّاتُ بـائـسٍ
ونظرةُ مــخْزونٍ ، وإطراقُ ســادِرِ
ومـــا أنتَ إلاَّ رائدٌ من جــمـــاعـــةٍ
تَوالُوا تبـاعـاً بالنُّفـوسِ الحـرائرِ
صَحَتْ بادياتُ الشَّرْقِ تحتَ غُبـارِهِمْ
علـى شَدْوِ أقـــــــلامٍ ولمعِ بـواتِرِ
وفى القِمَمِ الشَّماءِ ، مِنْ صَرَخاتِهم ،
صَدَى الرعدِ فى عَصْفِ الرياحِ الثَّوائرِ
يضـيـئـونَ فى أفْقِ الحـيـاةِ كـأنَّهمْ
على شَطِّهـــا النَّائى منارةُ حـــائرِ

فـيـا شـاعـراً غَنَّى فَرَقٌ لشَجْوِهِ
جَفاءُ اللَّيالى ، واعتِسافُ المقادرِ
لَكَ الدهْرُ ، لا ، بل عالَمُ الحِسِّ والنُّهَى
خـمـيلةُ شـادٍ آخـذٍ بالمشَاعـرِ
فَنَمْ فى ظلالِ الشَّرْقِ ، واهنأ بمضْجَعٍ
نَدِيٍّ بأنفـاسِ النَّبِيِّينَ عـاطرِ
ووَسِّدْ ثـراهُ الـطُّهْرَ جَنْبَكَ وانـتَظِمْ
لِداتَكَ فـيـه ، فَهُوَ مَهْدُ العَبَاقِرِ

✍ ✍ ✍

٩ - شوقى

فى رثاء الشاعر احمد شوقى

هَجَرَ الأرضَ حـينَ مَلّ مـقـامـهْ
وطوى العـمـرَ حـيـرةً وسـآمـهْ
هَيْكلٌ من حـقـيـقـةٍ وخـيـالٍ
مَلّكَ الحبُّ و الجـمـالُ زمـامَه
ألْهَمَ الشـعـرُ أصـغـريهِ فـرقًا
فى فَمِ الدهرِ كـوثراً و مُدامـه
سلسـبـيلٌ من حكمـةٍ و بيـانٍ
فَجَّرَ اللهُ منهـمـا إلهـامَه
تـأخـذُ الـقلبَ هَزةٌ مـن تسـا
قـيـهِ ، ويَنْسى بسـحـره آلامـه
غَمَرَ الأرضَ رحـمـةً وسَلامـاً
وجـلا الكونَ فـتنةً ووسـامـه
مـالنـاً مِسْمَعَ الوجـودِ نشـيـداً
عَلّمَ الطيـرَ لحنَهُ وانسـجـامـهْ
مـالَهُ و الزمـانُ مـصـغٍ إليـه
رَدَّ أوتـارَه وحـطّمَ جَامَهْ ؟

رُوِّعَ الطيرُ يومَ غابَ عن الأيْـــ
ـــكِ وسالتْ جراحُها الملتامة
ما الذى شاقَهُ إلى عالمِ الرَّوْ
حِ ؟ أجَلْ تلكَ روحُهُ المستهامة !
راعها النورُ وهىَ فى ظلمة الكـ
ـكونِ فخفَّتْ إليه تطوى ظلامهْ
هى بنتُ السمـــاءِ وهو من
الأرض سليلٌ نما الترابُ عظامه
فاهتفوا باسمه فما ماتَ ، لكنْ
آثرَ اليومَ فى السماءِ مُقامهْ !

* * *

• حدَّثتنى الرياضُ عنهُ صَباحاً
ما لصدَّاحِها جفا أنغامهْ ؟
وشكا لى النسيمُ أولَ يومٍ
لم يُحمِّلْهُ للحبيبِ سلامهْ
وتسمَّعتْ للغديرِ يُنادى
ما الذى عاقَ طيرَه وحيامهْ ؟
أَتُراهُ ترشَّفَ الفجرَ نوراً
أم شفى من نَدَى الصباحِ أُوامهْ

ورأيتُ الجــمــالَ فى شُعَبِ الوادى
ينادى بطاحَهُ و أكـــامـــهْ
صـارخـاً يسـتـجيرُ شاعرَهُ الشـ
ــادى ، ويدعــو لفنِّه رسَّامــهْ
فَتَلَفَّتُ باكـــيـــاً وبعـــينى
شَبَحٌ تخطرُ المنونُ أمـــامـــهْ
هتفَ القلبُ بالمنادينَ حـــولى :
لَقِيَ الصـــادحُ الطروبُ حِمــامــهْ
فــاذكــروا شــدْوَهُ بكل صـــبــاحٍ
وارقـــبـــوا من خَيَاله إلمامـــه
وامـلأوا الأرضَ والسـمـاءَ هُتـافـاً
عَلَّهُ لم يَرَ الصـــبـــاحَ فنامـــهْ

* * *

لم يرُعنِى من جـــانبِ النيلِ إلا
كـــرمـــةٌ فـــوقَهَا ترفُّ غَمَامـــة
تحت ســاجى ظلالـهـا زهرةٌ تبـ
ــكى ، وفى فَرْعِهَا تنوحُ حـمَامـة
عـرفَتـهـا عينى ، ومـا أنكرتهـا ،
من ظلامٍ و وحـشـةٍ و جَهَامـة

قلتُ يا كَرْمَةَ ابنِ هانى سَلامـــاً
ليسَ للمـرءِ فـى الحـيـاةِ سـلامـة
نحنُ ، لو تعلمـينَ ، أشـبـاحُ ليلٍ
عــابرٍ يَنسخُ الضـيــاءُ ظلامــه
والذى تلمـــحـــينَ من لَهبِ الشـ
ـمسِ غداً يُطفىءُ الزمـانَ ضـرامـه
والذى تبــصــرينَهُ من نجــومٍ
فَلَكٌ يرصــدُ القــضـــاءُ نظامــه
عَبَثــاً نُنشــدُ الحــيــاةَ خلوداً ،
ونرجِّى الصِّبــا ، ونبــغى دوامــهْ
إنما الأرضُ قـبرُنا الواسعُ الرحـ
ـبُ وفى جــوفِهِ تطيبُ الإقــامـــة
أودعَ القلبُ فـــيــــهِ آلامَه الكــ
بدى ، وألقى ببـــابه أحـــلامـــه
نَسِىَ الناعــمــونَ فـيـه صــبــاهُمْ
وســلا المغــرمُ المشــوقُ غــرامــهْ
فـامســحى الدمعَ وابســمى للمنايا
إنَّ دنيـاكِ دمــعــةٌ وابتــســامــة ! !

* * *

أيهــا المســرحُ الحــزينُ عــزاءً

قـد فـقـدتَ الـغـداةَ أقـوى دِعـامـه

ذَهَبَ الشـاعـرُ الذى كنتَ تسـتـو

حى وتســتلهمُ الخلودَ كــلامــهْ

ولكَ اليــومَ همــةٌ فى شــبــابٍ

مــلأوا الـعـصـرَ قـوةً و همُامـهْ

نزلوا ســاحَهُ يشـيـدونَ للمـجــ

ـدِ وشـقُّوا إلى الـحـيـاةِ زحـامـه

فــاذكـروا نـهـضــةَ الـبـيـانِ بأرضٍ

أطلعتْ فى ســمــائـهــا أعــلامــه

إنـهـــا أمـــةٌ تـغـــارُ على الفنِّ

وترعـى عــهــودَه و ذمــامــهْ

لم تَزَلْ مصرُ كعبةَ الشعرِ فى الشر

قِ ، وفى كــفِّهــا لواءُ الزعــامــة

إنَّ يومــاً يفــوتُهـا السَبْقُ فــيــهِ

لهــوَ يومُ المعـادِ يومُ القـيـامــة ! !

✍ ✍ ✍

١٠ - سورية وعيد الجلاء

تحية استقلال سورية

ورثاء صبرى ابو علم

هنأتُ باسمكِ تحتَ الشمسِ أحرارا
يَنْدَى هواكِ على هاماتهمْ غارا
دمَشْقُ ! يا بلدَ الأحرارِ ، أيُّ فتىً
لم يَمْتشقْ فيكِ سيفاً أو يَخُضْ نارا ؟ !
ذَوْدا عن الوطنِ المعبودِ ، من دمِهِ
للمجدِ يبنيهِ آطاماً وأسوارا
زَكَتْ « أميَّةُ » فى أعراقهِ وجرتْ
دماً يُروِّى الثرى أو يغسلُ العارا
عيدُ الجلاءِ اسمِّيهِ وأعرفهُ
يومٌ تَبارَكَ أنداءً وأسحارا
جلا عن الشرقِ ليلُ البغى حينَ جلا
عروبةٌ فيكِ تلْقَى الأهل والدارا
لولا مصابٌ دهى الوادى فشبَّ به
ناراً ، وهاجَ النسيمَ العذبَ إعصارا

وروّعَ الأمــــةَ الغـلبـــاءَ فى رَجُلٍ

شــدّتْهُ قــوســاً ، وسلّتْ منه بتّارا

من النوابغِ أعـمـاراً إذا قـصــرتْ

مـدَّ النبـوغُ لهم فى الخلدِ أعـمـارا

أحـرارُ مملكةٍ فى الرأى مـا أثمـوا

سَمَّاهمــو الغـاصبُ الظَّلام ثُوَّارا

ثاروا على القيدِ حتى انحلَّ ، واقتحموا

على الطواغيت حِصْنَ الظلمِ فـانهـارا

... لولاهُ كـانَ إليكِ البـرقُ راحلتى

أطوى به الجـوَّ آفــاقــاً وأقطاراً

وجئتُ «فيحاءُ» ازجى الشعرَ مُفتَقِداً

تحتَ الصفـائحِ مـقـدامـاً ومـغـواراً

والمفتدونَ ، شُراةُ الخلد ، قُلْ لهمو

مـا ينظمُ المدحُ ألحـانـاً وأشـعـاراً !

✍ ✍ ✍

١١ - بطل الريف : عبد الكريم الخطابى

لا السـيفُ قَرَّ ولا المحـارِبُ عـاداً
وسسَبَّحَ البشيرِ ! بأىِّ سلْمٍ نادَى ؟
الأرضُ من أجسـادِ من قُتِلوا بهـا
تَجْنِى العـذابَ وتُنْبِتُ الأحـقـادا
فاضَ السحابُ لها دَماً - مُذْ شَيَّعتْ
شَمسَ النهـارِ - فـخـالطَتْهُ سَوادا
راتِ الحِدادَ به على أحـيـائهـا
أتُرَاهمو صَبَغوا السمـاءَ حِدادا !
وَدَّ الطُغـاة بكلِّ مَطْلَعِ كـوكبٍ
لو أطفـأوه واسـقطوهُ رَمَادا
وتخـوَّفُوا وَمْضَ الشِّهـابِ إذا هَوَى
وبُروقَ كلِّ غـمـامـةٍ تتـهـادَى
ولو انَّهم وَصَلُوا السـمـاءَ بعِلْمِهم
ضَرَبوا على آفـاقـهـا الأسْدَادَا
لـولا لـوامعُ مـن نُهـىً وبَـصَائـرٍ
تَغْزُو كُهـوفـاً أو تَوْمُ وهـادا

لـم يَرْقَ عَقْلٌ أو تَرِقَّ ســــــــريـرةٌ
وقـضى الوجـودُ ضـلالةً وفسـادا
راعَ الطُّغـاةَ شُعَاعُهُ فـتـسـاءلوا
مَنْ نَصَّ هـذا الـكَوْكَبَ الـوَقّادَا ؟
إنْ تَجْهَلـوا فَسـلُوا بـه آبـاءَكُم
أيَّامَ شَعَّ عـــــدالةً ورغــــادا
هـل أبـصـــــروا حُرِّيَّةً إلا بـه
أو شـــيَّدوا لحــضــارةٍ أوتادًا ؟
حَمَلَتْ سَنَاهُ لـهـم يَدٌ عــــربيةٌ
تبنى الشـعـوبَ وتنسجُ الآبـادا
هـى أمةٌ بالأمسِ شـــادتْ دَولـةً
لا تعـرفُ العِبْدانَ والأسـيــادًا
جُرْتُمْ عليـــهـــا ظالمينَ بعَدْكُم
وعَدِيدِكم تتــخـــايلونَ عَتَادا
ومَنَعْتُمُـوهـا من مـواهبِ أرْضِهـا
مـــاءً بهِ تَجـدُ الحـيــاةَ وَزَادا
فى المغربِ الأقصى فتىً من نورِها
قَدَحَتْ به كفُّ الســمـــاءِ زِنادا

سَلّتَهُ سـيـفـاً كي يحـرِّرَ قَوْمَهُ
وُيَزِيلَ عن أوطانهِ اسـتـعـبـادَا
مـا بـالُكم ضِقْتُم به وحَشَدْتُمُو
من دونهِ الأسـيـافَ والأجنادَا ؟
اشْعَلْتُمـوهـا ثـورةً دَمَوِيَّةً
لا تعـرفـونَ لنارِها إخـمـادًا
حـتى إذا أوْهَى القـتـالُ جِلادَكم
ومـضـى أشَدَّ بسـالةً وجِلادَا
جـئْتُمْ إليـهِ تُهـادِنونَ سُيـوفَهُ
وسـيـوفُهُ لم تسكُنِ الأغـمـادَا
وكتبتمو عهداً - بحَدِّ سيوفكم -
مَزَّقْتُمُوهُ ولـم يـجِفَّ مِداداً

* * *

الأهلُ أهْلُكَ ، يا أميـرُ ، كمـا تَرَى
والـدَّارُ دارُكَ قُبَّةً و عِمَادًا
أنَّى نَزَلتَ بمصـرَ أو جـاراتِهـا
جـئْتَ الـعُروبةَ أمَّةً وبِلادًا
مَدَّت يدَيْها و احْتَوَتْكَ بصدرِها
أمٌّ يَضُمُّ حـنـانُهـا الأولادَا

ولو استطاعتْ رَدَّ ما استَوْدَعْتَها
رَدَّتْ عليكَ المَهْدَ و الميــلادَا
وَأَتَتْكَ بالذِّكَرِ الخــوالدِ طاقــةً
كــأجَلِّ مــا جـمعَ المحبُّ وهادَى
ماذا لَقِيتَ من الزَّمانِ بصخرةٍ
قاسَيْتَ فيها غُرْبةً و وحادًا ؟
وبَلوْتَ من صلَفِ الطُّغاةِ وعَسْفِهم
فيها الليالى والسنينَ شِدادًا ؟
جعلوا البحارَ ، ومثلُهُنَّ جبالُها ،
سَدًّا عليك وأوسعوك بعادَا
دَعْهُم ! فأنتَ سَخِرْتَ منَ أحلامِهِمْ
وأطَرْتَهُنَّ مع الرياحِ بدادًا
عشرينَ عاماً ، قد حَرَمْتَ عيونَهم
غُمْضَ الجفونِ ، فما عَرَفْنَ رُقادَا
يَتَلَفَّتُون وراءَ كلِّ جزيرةٍ
ويسائلونَ الموجَ و الأطوادَا
من أىِّ وادٍ .. موجةٌ هتفَتْ به
ومضى ، فحمَّلَها السلامَ ، وعادَا

لو أنصــفــوا قَدَرُوا بطولةَ فــارسٍ

لبــلادِهِ بدَمِ الحُشــاشــةِ جــادَا

نادَى بأحــرارِ الرجــالِ فــقــرّبوا

مُهَجــاً تموتُ وراءَه استــشــهــادا

يــدعــــــو لحقٍّ أو لإنســـــانيَّةٍ

تأبى الســجــونَ وتَلْعَنُ الاصــفــادَا

شيخَ الفوارسِ حَسْبُ عَيْنِك أن ترى

هذى الفــتــوحَ وهذهِ الأمــجــادَا

« الرِّيفُ » هَبَّ منازلاً وقـــبــائلاً

يدعــو فــتـــاهُ البــاسلَ الذَّوَّادَا

حَنَّ الحُسامُ لقَبضَتَيْكَ ، وحَمْحمتْ

خـــيلٌ تُقَرِّبُ من يديكَ قِيـــادا

وعلى الصَّحارَى من صَدَاكَ مَلاحِمٌ

تُشْجِى النُّســورَ وتُطْرِبُ الآســادَا

أوْحَتْ إلى العُرْبِ الحُداءَ ، وألهمتْ

فُرسـانهمْ تحت الوغى الإنشــادا

عـبدَ الكريمِ انظُرْ حيالكَ هل ترى

إلا صــراعــاً قــائمــاً وجــهــادا

الشـــرقُ أجْمَعــــهُ لواءٌ واحـــدٌ
نَظَ مَ الصــــفــوفَ وهيَّأ القُوَّادا
لم يتـركِ السـيفُ الجـوابَ لسـائلٍ
أو يَنْسَ من مُتَرَقِّبٍ مـــيـــعـــادا
سـالتْ حلوقُ الهـاتفـينَ دمـاً ، ومـا
هزُّوا لطاغـيـةِ الشـعـوبِ وِسـادَا
فــصُغِ البــيــانَ بهِ ، وأنْطِقْ حَدَّهُ
يَسْمَعْ إليكَ ، مُكَرَّراً ومُعـــادَا
كَذَبَتْ مــودَّاتُ الشفَــاه ولم أجــدْ
رغمَ العــداوةِ كــالســيــوفِ وِدادا

✍ ✍ ✍

١٢ - الأمسية الحزينة

عند برزخ بين بحيرة المنزلة

وشاطئ البحر المتوسط

جـددتِ ذاهبَ أحـلامى وليـلاتى
فَهَلْ لديكِ حـديثٌ عن صـبـاباتى ؟
يا كـعـبـةً لخـيـالاتى ، وصـومـعـةً
رتلتُ فى ظلِّهـا للحـسنِ آياتى
للحُبِّ أولُ أشـعـارٍ هتـفتُ بهـا ،
وللجـمـالِ بهـا أولى رسـالاتى
عليكَ وادىَ أحـلامى وقـفتُ أرى
طيفَ الحوادثِ تمضى بعد مأساةِ
آوى إلى جَنَبَاتِ الصـخـرِ منفـردا
أبكى لأمـسـيـةٍ مـرَّت وليـلاتِ
قـد غَيَّرتنا الليـالى بَعْدَهَا سيَرا
وخلَّفـتنا العـوادى بعضَ أشـتـاتِ
تلفَّتَ القلبُ فى ليـلاءَ باردةٍ
يبكى ليـاليَكَ الغُرَّ المضـيـئـاتِ

وذكــريات من الماضى يُطالعُهـــا

بينَ الحـقـولِ وشُطآنِ البـحـيـرات

* * *

يا طولَ مــا نَغَّمَتْ للصُّخــرِ أناتى

وشــدَّ مــا رجَّعتْ للمــوجِ آهاتى

يا قلبُ ، وادى الصِّبا حالتْ مسارِحُهُ

واقـفـرتْ من صـبـاياهُ الجـمـيـلاتِ

فــلا الجـداولُ تحـدوها مـسلسلةً

ولا الخـمـائلُ تهـفـو بالنضـيـراتِ

صَوَّحنَ من مـشـرقِ الوادى لمغربِهِ

فــمـــا بهنَّ مُطيفٌ من خـــيـــالاتِ

ما فى حيـاتِكَ من سلوى تلوذُ بـهـا

لكنهُ الحبُّ ذاكَ القــاهرُ العــاتى

قد فـاجـأتْكَ غـواشِيـه التى سكنتْ

إنَّ الليــالىَ مــلأى بالفُجــاءاتِ

* * *

يا لَلْبُحـيـرةِ : من يرتـادُ شــاطئـهَا

ومن يُسِرُّ إلى الوادى مناجــاتى ؟

ومن يعـيـدُ لنا أطيـافَ ليلتـهـا
وما غَنِمْنَا عليـهـا من أويقـاتِ
وخلوةٍ في حَفَافـيـهـا وقـد عَبَثَتْ
يَدُ الصَّبا بحـواشـيـهـا الموشَّاةِ
يضمُّنا باسقٌ ، في الشطِّ ، منفردٌ
ضَمَّ الشَّتـيـتَيْنِ في عليـاءِ جناتِ
وللقلوبِ أحـاديثٌ يجـاوبُهَا
تناوحُ الطيرِ في ظلِّ الخـمـيلاتِ

* * *

يا ليلةٌ قـد ذهلنا عن كـواكـبـهـا
في زورقٍ بين ضـفَّاتٍ ولجَّاتِ
يسري بنا مَوهِناً ، والريحُ تدفعهُ ،
كالنجمِ يسـبحُ في علويِّ هالاتِ
وفي الشواطيءِ للمجدافِ أغنيةٌ
يَصُبُّها الموجُ في سحريِّ موجاتِ
مـا كـانَ أهنأها دنيـا ، وأهنأنا
في ليلِها الصَّحْو، أوفي فجرها الشاتي

مَرَّت خيالاتُ ماضيها ، وما تَرَكَتْ
سوى وجومِ لياليها الحزيناتِ
ومن تَلَهّفِ أحناني وثارتِهَا
يا لَلْجَوَانحِ من وَجْدى وثاراتى
ياصرخةَ القلبِ ، هل أسمعتِ منك صَدىً
مَنْ ذا يردُّ الصَّدى فى جوفِ موماةِ ؟
جوبى مفاوزَ أيامى فقد صَفِرَتْ
من نبعِ ماءٍ ، ومن أظلالِ واحاتِ
قضى ، على ظمأ ، قلبى بها وفمى
وضلَّتِ العينُ فيها إثرَ غاياتى
حتى العواصفُ صمَّتْ عن نداءاتى
فما تردُّ على الأيامِ صيحاتى

* * *

يا من قتلتَ شبابى فى يفاعَتِهِ
ورحتَ تسخرُ مِنْ دمعى وأناتى
حرمتَ أيامىَ الأولى مفارحَها
فما نعمتُ بأوطارى ولذّاتى
فَدَعْ فؤادىَ محزوناً يرفُّ على
ماضى ليالىَّ ، وانعمْ ، أنتَ ، بالآتى

دَعْنى على صخرةِ الماضى لعلَّ بها
مِنَ الصبابةِ والتحنانِ منجاتى !

✍ ✍ ✍

١٣ - إلى الطبيعة المصرية

لِمَ أنتِ ، أيتُّها الطبيعةُ ، كالحزينةِ فى بلادى ؟
لولا أغاريدُ ترسَّلُ بينَ شاديةٍ وشادى
وخيالُ ثَوْرٍ حولَ ساقيهِ يُراوحُ أو يُغادى
وقطيعُ ضأنٍ فى المروجِ الخضرِ يُضربُ بالهوادى
لحسبتُ أنكِ جَنَّةٌ مهجورةٌ من عهدِ عادِ
هجروكِ ، لا كنتِ العقيمَ ولَستِ مُنْجِبَةَ القَتادِ
عجباً وماؤكِ دافقٌ ونجومُ أرضكِ فى اتِّقادِ
لو كنتِ فى الغربِ الصّناعِ لكنتِ قِبلةَ كلِّ هادى
وافتنَّ فيكِ الفنُّ بالروحِ المُحرِّكِ للجمادِ
وتفجَّرَ المَرحُ الحبيسُ بكلُّ ناحيةٍ ووادى
ولقلتُ ابتدرُ الشُّداةَ غداةَ فجرٍ أو تنادى
هذى الروائعُ فيكِ لم تُخْلَق لغيركِ ، يا بلادى !

✍ ✍ ✍

١٤ - على النيل

من ابن الشمال إلى ابن الجنوب

أخى ! إنْ وردتَ النِّيلَ قبلَ ورودى
فـحىٍّ ذِمـامى عِنْدَهُ و عُهُودى
وَقَبِّلْ ثرىً فـيـه امـتـزجنا أُبُوَّةً
وَنُسْلِمُهُ لابنٍ لنا وحـفـيـدِ
أخى ! إنْ أذانَ الفجرِ لَبَّيتَ صوتَهُ
سَمِعْتَ لتكبيرى ووقْعِ سجودى
ومـا صُغْتَ قـولاً أو هتـفتَ بآيةٍ
خَلا مَنطقى من لَفْظِهَا وقـصـيـدى
أخى ! إنْ حواكَ الصبحُ ريَّانَ مشرقاً
أفَقْتُ على يومٍ أغـرَّ سـعـيـدِ
أخى ! إنْ طواكَ الليلُ سهمانَ سادرا
نَبا فيه جنبى واستحالَ رقودى
أخى ! إنْ شربتَ الماءَ صفواً فقد زكتْ
خمـائلُ جنَّاتى وطابَ حصيدى
أخى ! إنْ جفاكَ النهرُ أو جفَّ نبعُهُ
مشى الموتُ فى زهرى وقصَّفَ عودى

فكيْفَ تُلاحـينى وألحـاكَ ؟ إننى
شهيدكَ فى هذا .. وأنتَ شهيدى !
حيـاتُكَ فى الوادى حيـاتى ، فـإنما
وُجـودُكَ فـى هذى الحـيـاةِ وجـودى

*   *   *

أخى ! إنْ نزلْتَ الشـاطِئَيْن فَسَلْهما
مَتى فَضَلا مــا بيننا بحــدودِ ؟
رَمَــانى نَذيرُ السُّوءِ فــيكَ بِنَبْأةٍ
فَجَلَّلَ بالأحــزانِ ليلةَ عــيــدى
وغـامتْ سـمـائى بعدَ صَفْوٍ وأُخْرِسَتْ
مـزَاهرُ أحــلامى ومـاتَ نشـيـدى
غــداةَ تَمنَّى المســتــبــدُّ فِراقنا
علـى أرضِ آبـاءٍ لـنـا وجــــدودِ
وزفَّ لـنا زَيْفَ الأمـــــانى عُلالـةً
لـعلَّ بنـا حُبَّ الســيـــادةِ يُودى
أُخــوَّتُنا فــوقَ الذى مــانَ وادَّعى
ومــا بيننا من سيِّــدٍ ومــســودِ
إذا قـالَ «الاستقلالُ» فـاحْذَرْهُ ناصباً
فِخَــاخَ «احــتـلالٍ» كـالدهورِ أبيـدِ

وكم قَبْلُ منَّانى ، على وَفْرِ مـا جَنَى
بِحَرْبَيْنِ ، من زرعى وضَرْعِ وليـدى
فلمـــا أتاهُ النصـــرُ هـاجَتْهُ شِرَةٌ
فــــــهـمٌ بنـكرانـى ورامَ جُحُودى
ألا سَلْهُ ، مـاذا بَعْدَ سبـعـينَ حـجَّةً
أأنجــزَ مـن وَعْدٍ ؟ أفكَّ قـــيــودى ؟

✍ ✍ ✍

١٥ - القبَّرة

عن الشاعر الانجليزى شلى

يا أيهـا الرُّوحُ يهـفـو حَوْلَهُ الفَرَحُ
تحــيَّةٌ ، أيُّهــذا الصــادحُ المَرِحُ
من أمَّةِ الطَّيرِ هذا اللحنُ ما سمِعتُ
بمثلـه الأرضُ ، لا روضٌ ولا صَدَحُ
أنت الذى من سـمـاءِ الرُّوحِ منهلُهُ
خــمــرٌ إلهــيــةٌ لم تَحْوِهَا قَدَحُ
يفـيضُ قلبُك ألحـاناً يُسلسِلُها
فنٌّ طليقٌ من الوجـدانِ منسـرِحُ !

* * *

وعـاليـاً ، عـاليـاً ، لا زلتَ منطلقـاً
عن الثـرى ، تصِلُ الآفـاقَ آمـادا
مثلَ السـحابةِ ، من نارٍ ، مُسَعَّرَةً ،
والبـرقِ مـؤتلقـاً ، والنَّجمِ وقَّادا
يهفو جَنَاحاكَ فى أعماقِ زُرْقَتِها
وأنتَ تَضْرِبُ فى الآفـاقِ مُرتاداً

تشـدو فَتُمْعِنُ فى أجـوازِهَا صُعُدا

فـــإنْ عَلَوْتَ بهـــا أمْعَنْتَ إنشـــادا

* * *

ومـــائج ذَهبىٍّ النُّورِ قـــد غـــرقتْ

فى ذَوْبه الشمسُ عَبْرَ العالمِ الثانى

تُوَهِّجُ السُّحبَ البـيـضـــاءَ حُمـرتُه

فَتَسْتَحـــيلُ عليـــهـــا ذاتَ ألوانِ

أشـــعـــةٌ ذاتُ أمـــواجٍ غَدَوْتَ بهـــا

تطفـو وترسبُ فى لُجـيِّهـا القـانى

كـأنما أنت - جــذلاناً تراوحنا -

روحٌ مـن الطَرب العلوىِّ نورانى

* * *

تذوبُ حـــــولكَ إمَّا طِرْتَ فى أفُقٍ

غلالةُ الأرجوانِ الشاحبِ الساجى

كنجمـةٍ فى سـمـاءِ اللَّيلِ خـافقـةٍ

تـذوبُ فى فَلَقٍ للصـــــبحِ وهَّاجِ

يـا من تُطرِّبنى ألحـــــانُ غِبْطَتِه

ومـــا رَأيتُ لَهُ طيـــفـــاً بمعـــراجِ

ألاً أراكَ فــإنى ســامعٌ نغــمــاً

يهــفـــو إلىَّ بإطرابٍ وإبهـــاجِ

* * *

وصاعداً فى مضاءِ السهمِ أرسلَهُ

قـوسٌ من الكَوْكبِ الفضىِّ منزعـهُ

ينأىَ فـيخـبـو رويداً وهْجُ شُعْلَتِـه

حتى يُلاشَى كـأنَّ الفـجـرَ يتبـعـهُ

ونرسلُ العـــينَ نرعــاهُ هنا وهنا

ومـــا يبـــينُ لنا من أيْنَ مطلعـــهُ

حـتى إذا عـزَّنا المرأى وأجـهـدنا

دلَّ الشعورُ على أنْ ذاكَ موضعهُ ! !

* * *

هذى السـمـاءُ بموسـيقـاكَ مـائجـةٌ

والأرضُ يغمرُها من صوتكَ الطَرَبُ

وصفحةُ الليلِ أصفى ما يكونُ سوى

غـمـامـةٍ خلَّفَتـهـا وَحْدَهَا السُّحُبُ

وقـــد بدا القَمَرُ الوضَّاحُ يُمطرهـا

إرسـالَ ضـوءٍ على الآفـاقِ يَنْسَكِبُ

يرمى السموات سيلٌ من أشعتها
تكادُ تسبحُ فى طوفانِهِ الشُّهُبُ

* * *

من أنتَ ، يا من يجوبُ اللَّيلَ منفرداً
ولم تقعْ لى عليهِ بَعْدُ عينانِ ؟
أىُّ الخليقةِ قل لى أنتَ تشبهُهُ
وأيها منكَ فى أوصافِهِ دانى ؟
وهذه السُّحْبُ أصباغاً مُشَكَّلَةً
فى رائعٍ من فَريدِ اللَّونِ فتَّانِ
لا ينزلُ الغيثُ منها مثلما نزلتْ
شتَّى أغانيكَ فى سحرىٍّ ألحانِ !

* * *

كشاعرٍ فى سماءِ الفكرِ مُختبئٍ
دلَّ الوجودَ عليه لحنُه العالى
ألحانُ أغنيةٍ أمسى يُرتِّلُها
كمرسلٍ من نشيدِ الخُلْدِ سيَّالِ
أسلْنَ بالعالمِ السالى خوالجَهُ
حتى استحالَ شجوناً قلبُه الخالى

بعَثْنَ من الرفيـــهِ ومن أمَلٍ
مــا لم يكنْ منهُ فى يومٍ على بالِ

* * *

كـــأنَّ حـــوريةً فى ظلِّ شـــاهقـــةٍ
من البروجِ تقضّى العيشَ فى خُلَسِ
لم يُغمضِ النومُ عينيها ولا خمدَتْ
نيــرانُ قلبٍ لهــا فى فَحْمَةِ الغَلَسِ
باتتْ تلطِّف الامـــاً تســـاوِرُها
فى عزلةٍ بنشيدٍ ساحرِ الجرسِ
تطوفُ ألحانُ موسيقاهُ مخدعها
كـأنهُ الحبُّ فى إيقـاعـهِ السلِسِ

* * *

كـأنَّ بين الرُّبا التـفَّتْ خـمـائلُهـا
فـراشـةٌ من سـبـيكِ التِّبـرِ جَلواءُ
يا حـسنَ أجنحـةٍ منهـا مـذهبـةٍ
قـد رقَّشـتـهـا مِنَ الأسـحـارِ أنداءُ
تُرِى السماءَ صفاءً فهى إنْ خطرتْ
فللســمــاءِ بهـذا اللَّونِ إغــراءُ

تجلو الأزاهرَ والأعشابَ طلعتُها

إذا بدتْ ولها فيهنَّ إخفاءُ

* * *

كزهرةِ الحقلِ فى غَيْناءِ سُرْحتِها

لم يملأِ النورُ منْ أجفانِها حَدَقا

حتى إذا لَفَحَتْها الريحُ هاجرةً

زكتْ وأربتْ على أملودِهَا ورقا

وأرَّجَ الحقلَ من أنفاسِها عبقٌ

يشوقُ كلَّ جناحٍ نحوها خَفَقَا

تهفو إليها من الأنسامِ أجنحةٌ

منْ كلِّ مُنطلقٍ من عطرِهَا سَرقا

* * *

ووقعُ لحنكَ فى الأسحارِ أرخمُ من

وقعِ النَّدَى فوقَ أعشابِ البساتينِ

قد نقَّط الزَّهَرَ المنضورَ سلسلهُ

وجادَ بالطلِّ أقوافَ الرياحينِ

يا منْ على صوتهِ فى الأفْقِ منسجماً

تصحو الأزاهرُ فى أفنانِها الغينِ

كلُّ البدائعِ مهما افتنَّ مبدعُها
لم تَعْدُ لحنَكَ فى صَوْغٍ وتلحينِ

* * *

قل لى : أمن ملَكُوتِ الرُّوحِ منطلقٌ
أم طائرٌ أنتَ فى الآفاقِ هيمانُ ؟
أىُّ الخواطرِ من حُسْنٍ ومن بَهَجٍ
يُشيعها منكَ فى الأرواحِ وجدانُ ؟
لم تشرئبَّ قلوبٌ من أضالعها
لغيرِ صَوْتِكَ أو تنصبُّ آذانُ
حديثُ حبٍّ وخمرٍ باتَ يسكبُهُ
من جانبِ اللّهِ انغامٌ وألحانُ !

* * *

من أينَ تلك الأغانى أنتَ تُرسلُهَا ؟
من أىٍّ مطَّرِدِ الينبوعِ مُنَسجِمِ ؟
من أىٍّ ثائرةِ الأمواجِ زاخرةٍ ؟
أىٍّ السهولةِ والأغوارِ والقِمَمِ ؟
وأىٍّ حبٍّ أليفٍ مِنكَ أو وطنٍ ؟
وأىٍّ جهلٍ لما نلقاهُ من ألمِ ؟

* * *

وفى منامكَ والآفــاقُ حــالمةٌ

وفى انتباهكَ والظلمـاءُ إصـغاءُ

لابدَّ من نبـأ للمـوتِ تعـرفـهُ

وفى فـؤادكَ عنهُ اليومَ أشـيـاءُ

لأنْتَ أعـمقُ فكراً فى حـقـائقـه

مما نراهُ ونحنُ اليـومَ أحـيـاءُ

أو لا ! فكيفَ انسـجامُ اللّحنِ مطّرداً

يُجـريهِ من رائقِ البِلّورِ لألاءُ ! ؟

* * *

إنا نفكّرُ فى مــاضٍ بلا أثَرٍ

ومُقـبلٍ من حـيـاةٍ كلها غـيبُ

ومسـتـحلٍ نرجّى برقَ ديمَتِهِ

وكلُّ مـا نرتجـيـهِ منهُ مـختلبُ

وكم لنا ضـحكاتٌ غيرُ صـادقةٍ

ما لم يشبْ صفوَها التبريحُ والوصَبُ

وإنَّ أشـهى الأغانى فى مسامعِنَا

ما سالَ وهو حزينُ اللحنِ ، مكتئبُ !

* * *

هَبْنَا على رَغْمِ هذا ليسَ يَجـمـعُنَا
بالحـقـدِ أو كـبـرياءِ النَفْسِ أوهاقُ
فـلا القلوبُ لدى البـأسـاءِ جـازعـةٌ
ولا بـهـنٌ إذا رُوِّعنَ إشـــفـــاقُ
وإننا قـــد دَرَجْنا فى خَليــقــتِنَا
بـلا دمـــوعٍ تذرّيـهـنٌ آمـــاقُ
فكيفَ كنا إذاً نلقــاكَ فى فــرحٍ !
أو يغمـر الروحَ لحنٌ منه رَقْراقُ ! ؟

* * *

يا أعذبَ الطيرِ موسيقى وأروعَهَا
من كلٍّ رائقِ أنـغـــامٍ وألحـــانِ
ويا أعــزَّ لنا من كلٍّ مــا جـمـعتْ
نفــائسُ الكُتْبِ من دُرىٍّ تبـــيــانِ
يا مـــا أحقَّ اقــتــدارا منكَ قــدرتهُ
بشـــاعـــرٍ لَبِقِ التـــصـــويرِ فنَّانِ
أنتَ المبـــرأُ فى حُبٍّ وعـــاطفـــةٍ
يا من تعـاليتَ عن أرضٍ وإنســانِ

* * *

أمـــا تُعلِّمنى مما يفـــيضُ بهِ
غـناؤكَ الـعَذْبُ تـطراباً وتحـنانا !
ذاكَ الحنونُ الذى يُهـدى توافـقـهُ
إلىَّ من صَدَحَاتِ الخلدِ ألحـانا !
ألستَ تُلهـمنى وحـيـاً يفـيضُ به
فـمى ، فَأمـلأُ قلبَ الكونِ إيمـانا !
أشـدو فـيُلقى إلىَّ الكونُ مِسـمعهُ
يُصـغى إلىَّ كما أصـغى لَكَ الآنا !

✍ ✍ ✍

١٦ - الملاّح التّائه

أيهــا الملاّحُ قمْ واطوِ الشرّاعــا
لِمَ نطوى لُجّةَ الليلِ سرَاعــــا
جَدِّفِ الآنَ بــنــا فــى هينــةٍ
وجهةَ الشاطئِ سيراً واتّباعا
فَغَداً ، يا صــاحــبى ، تأخُذُنا
موجةُ الأيّام قذفاً واندفاعا
عَبَثاً تقفو خُطى الماضى الذى
خِلْتَ أنّ البحرَ واراهُ ابتلاعا
لم يكنْ غــيــرَ أويقــاتِ هوىً
وقــفتْ عن دوْرَةِ الدهرِ انقطاعــا
فــتَمَهّلْ ، تســعــدِ الرُّوحُ بما
وهِمَتْ ، أو تطربِ النفسُ سماعا
وَدَعِ الليلةَ تمضى ، إنهــا
لم تكنْ أولَ مــا ولّى وضَاعــا
سوفَ يبدو الفجرُ فى آثارها
ثمَّ يمضى ، ودَوَاليكَ تِبَاعــا

هذهِ الأرضُ انتـــشتْ مما بهـــا
فَغَفَتْ تحلُم بالخلدِ خـــداعـــا
قـــد طَوَاها الليلُ حـــتى أوشكتْ
من عـمـيقِ الصمْتِ فـيه أنْ تُراعـا
إنَّهُ الـصــــــمـتُ الذى فـى طيِّه
أسـفـرَ المجـهولُ ، والمسـتورُ ذاعـا
سَمِعَتْ فـــيـــه هُتـــافَ المنتـــهَى
من وراءِ الـغـيبِ يُقـريهـا الوَدَاعـا
أيـهـــا الأحـــيـــاءُ ، غنُّوا واطرَبوا
وانهـبـوا من غَفَلاتِ الدَّهرِ سـاعـا

* * *

آهِ ، مــــا أروعَهــــا من ليلةٍ
فاضَ فى أرجائها السحرُ ، وشاعا
نَفَخَ الحـبُّ بـهــــــا مـن روحِهِ
ورَمَى عن سرِّها الخـافى القناعـا
وَجَلا مــــن صُوَرِ الحُسْنِ لـــنـــا
عـــبـــقـــرياً لَبِقَ الفنِّ صَنَاعـــا
نفـــحـــاتٌ رَقَصَ البـــحـــرُ لهـــا
وهفَا النجمُ خُفـوقـاً والتـمـاعـا

وسرى من جانبِ الأرضِ صدىً

حرَّكَ العُشْبَ حناناً واليَرَاعا

بَعَثَ الأحلامَ من هجعتِها

كسرايا الطَّيْرِ نُفِّرْنَ ارتياعا

قُمْنَ بالشاطىءِ من وادى الهوى

بنشيدِ الحبِّ يهتفنَ ابتداعا

أيها الهاجرُ عزَّ المُلتقى

وأذبتَ القلب صدا وامتناعا

أدركِ التائهَ فى بحرِ الهوى

قَبْلَ انْ يقتلَهُ الموجُ صراعا

وارعَ فى الدنيا طريداً شارداً

عنهُ ضاقتْ رقعةُ الأرضِ اتساعا

ضلَّ فى الليل سُراهُ ، ومَضَى

لا يَرى فى أفُقٍ منه شُعَاعا

يجتوى اللافِحَ من حَرْقَتِهِ

وعذابٍ يُشعلُ الرُّوحَ التياعا

والأسى الخالدَ من ماضٍ عَفَا

والهوى الثائرَ فى قلبٍ تداعى

فــاجــعلِ البــحــرَ أمــاناً حــولَهُ

واملأِ الســهلَ ســلاماً واليَفَاعا[1]

وامـــــــسحِ الآنَ علـى آلامـــــــهِ

بيـدِ الرفقِ التى تمحـو الدُّمـاعا[2]

وَقُدِ الــفُلــكَ إلــى بَرِّ الــرِّضـــى

وانشُرِ الحبَّ على الفُلكِ شِراعـــا

✍ ✍ ✍

---

(١) اليفاع : ما ارتفع من الأرض .

(٢) الدُمَّاع : كثير الدمع .

١٧ - راكبة الدّراجة

تمَهَّلى فـــراشـــةَ الصّبـــاحِ
أسْرَفْتِ فـــى الــغُدوِّ والــرّواحِ
مـــاذا ارتيـــادُ الطُّرُقِ الفِســـاحِ
والوثبُ فـــوقَ العُشْبِ والصفَّاحِ
بـين الـرّوابـى الخُضْرِ والـبطـاحِ
بـالشَّعَرِ المهــــدَّلِ الســـبّاحِ
كـالموجِ تحتَ العـاصفِ المجـتـاحِ
والنهـــدِ وهـو مُطْلَقُ الســـراحِ
يخـــفقُ بين الصـــدرِ والوشـــاحِ
والســاقُ خَلْفَ الســاقِ فى كـفـاحِ
فى حَلْقَةٍ طاغـــيـــةِ الجـــمـــاحِ
تدورُ مــــثلُ البـــارقِ اللمّاحِ
تـــودُّ لـــو طـــارتْ مـــع الـــريـــاحِ
وحلَّقَتْ فى كـــبـــدِ الصُّراحِ
بلطفِ هذا الجـــســـدِ المــراحِ
وخِفَّةٍ فـى روحـكِ الصـــــداحِ

تكـادُ تُغْنِى الطيــــرَ عن جَنَاحِ !

يا لـهَواءٍ عـــابثٍ مـــفـــراحِ

سكرانَ ، لا من خـمــرةِ الأقــداحِ

بَلْ من صِبــاكِ ، والصِّبـا كـالرَّاحِ

يرفـعُ طرفَ الثــوبَ فى مــــزاحِ

لا يَسْتَحـــى مـــن لائــمٍ ولاحـــى

✍ ✍ ✍

١٨ - على حاجز السفينة

- حَنَتْ على حاجزِ السفينة

تــرنـــو إلـــى الـــرَّغْوِ والـــزَّبَـــدْ

- كأنها الفتنةُ السجينة

تمضــى بـهـــــــا لُجَّةُ الأبـدْ

- نَبَتْ بهـــا ضَجَّةُ المكانِ

يزَيـنـهـــــا الصَّمْتُ والجـــــلالُ

- والبـحـرُ من حـولها أغـاني

والسُّحْبُ والريحُ والجـــبــــالُ

- ساحرةً وحدها تُطِلُّ

بِمــلْتَقَى الـــنـــورِ والـــظـــلامِ

- لا تســأمُ الصَّمْتَ أو تَمَلُّ

تَهـــامَس الشُّهْبِ والغـــمـــامِ

- تُصْغِى إلى الموجِ والرياحِ

فـى مَعْزِلٍ شـــــــاقَ كـلَّ عَيـنْ

- كأنها نجمةُ الصباحِ

مُطِلَّةٌ من ســـــحــــابتـــينْ

• هفهافةُ الثوبِ فى بياضِ
يكادُ عن روحها يشفُّ
• لأىٍّ ذكرى وأىِّ ماضٍ
يَسْرى بها خاطرٌ ويَهفو ؟
• وما وراءَ العُباب تَبْغِى
وأىُّ سرٍّ لها تَبدَّى
• وأىُّ لحن إِليه تُصغى
بروحها الحالمِ استبدًّا ؟
• عجبتُ للبحرِ ما عَرَاهُ
يودُّ لو مسَّ ناظريها
• يتاخمُ النَّجمَ فى علاهُ
ويَنثنى جاثياً لديها
• وهائمٍ فى الفضاءِ صَبٍّ
مُجنَّحٍ لا يَبينُ طيفا
• كم ودَّ لو - من ضَنَى وحُبٍّ
هوَى على صدرها وأغفى
• كم بثَّ من أنَّةٍ و ألْقَى
بهمْسةٍ ضائعٌ صداها

● ياوَيحهُ لا يَحيرُ نُطقا

فكيفَ تُلْقِى له انتباها ؟

● أنفاسُهُ عن جَواهُ تُغْنِى

عليلةٌ خفقُها اضطرابُ

● كآهةٍ فى فَمِ المُغَنِّى

جريحةٍ لَحنُها العذابُ

● يدنو ، ويرتدُّ فى حياءٍ

يُجاذبُ الثوبَ والشَّعَرْ

● وكلما كلَّ من عياءٍ

أثارهُ الوجدُ فاستعَر

● يضمُّها راعشاً ، ويمضى

مُباعداً ، وهو ما ابتعدْ

● كأنَّهُ بالحنينِ يقضى

لُبانةَ الرُّوحِ و الجَسدْ

● والقمرُ الطالعُ الصغيرُ

أزاحَ عن وجههِ السَّحابا

● وقد جرى ضوءه الغريرُ

يستشرفُ الأفقَ و العُبابا

● ألمرحُ العـــابثُ الطروبُ

لما دعـــا باســـمــــهِ الشـــروقُ

● نادتْ به مـوجـةُ لعـوبُ

إلـيَّ .. يا أيّهــــا المشـــــوقُ

● طالَ علـى المنْتَأى طُروقـى

وطالَ مــــســــراكَ فـى السَّمـــاءِ

● فَنَمْ على صـدرىَ الخـفـوقِ

واحْلُمْ بمــا شِئْتَ مــن هـنــاءِ

● وأنْسِنى وحـشـةَ الليــالى

بقُبْلةٍ منكَ ، يا حـــبـــيـــبى

● لكنَّهُ مـــرَّ لا يبـــالى

ولجَّ فى صـــمـــتـــهِ العـــجـــيبِ

● مــذ أبْصَرَتْهُ انثنى ومــرًّا

قـــالتْ ، ومن دمـــعـــهـــا مَسِيلُ :

● لأنتَ مـــثلُ الرجـــالِ طُرًّا

يا أيُّهـــا الخـــائنُ الجـــمـــيلُ

● وهبـتُكَ الغضَّ من شـبـابى

سكرانَ من خـمـرِ أمـســيـاتى

● فـــأينَ تمضى على العُبــابِ

من صَوْتِ حُبّى وذكــــــــريـاتـى ؟

● ومن هـىَ الغـــــادةُ التى

تنسلُ من مـــخـــدعى إليـــهـــا

● أعندها مـــثلُ فـــتنتى

أم اننـى أفْتَرِى عليـــــــهـــــــا ؟

● إذهبْ إليـهـا ودعْ ذمـامى

فــــــديتُكَ ، اسْلَمْ على التـنـائـى

● إذْبَحْ على صـدرها غـرامى

وامـــلأ لهـــا الكأسَ من شــقـــائى

● والْهُ مع الغـيـدِ والعـذارى

وغـــنِّ بـــالـــكـــأسِ والـــوتـــرْ

● وانـقـعْ مـن الـغُلَّةِ الأوارا

واقـطف مـن الـلّذةِ الـثمـــــــــرْ

● أبوكَ ، والطبعُ لا يحـــولُ ،

وَرِثْتَهُ خِلْقـــــــةً و خَلْقـــــــا

● يا أيهــــا القَلْبُ الملولُ

من قـــبـــضـــتى لن تنالَ عِتْقـــا

- مُطاردٌ أنتَ باشـتـيـاقى
مـــا جُبْتَ أرضـــاً وجُزْتَ بحـــرا
- مُقَيَّدٌ أنــتَ فــى وثــاقــى
وإنْ رأتْكَ الـعـــــيـــــونُ حُرّا
- لأنتَ مــهــمــا كَبُرتَ طِفْلِى
يـا ابـنَ الـهــــــوى البكْرِ والألَمْ
- خُطاكَ مــســبــوقــةٌ بظلّى
وإنْ تـــعــــلَّقْتَ بـــالـــقِمَمْ
- سـأحفظُ العَهدَ مِنْكَ دَوْما
وأقطَعُ الـعــمـــرَ فى انتظارِكْ
- وســوف تأوِى إلىَّ يومــا
تـبكى ، وأبْكى إلى جــــوارِكْ
- ضــراعــةٌ من عـذابِ أنْثَى
مَشَتْ على المائِعِ الـغـضــوبِ !
- صـغـا لـها الليلُ واسـتـحثَّا
ســـــواكنَ الـريـحِ للهُبـــوبِ
- وحـدَّقتْ فى الدُّجَى نجـومُ
غَيْرَى ، تـغــامــزنَ بالخـــبــرْ

- وغمغمتْ نجمةٌ رؤومُ

أمـا يرى ضوءَهُ القمرْ ! ؟

- أمـا يرى ذلكَ الصَّبِيَّا

يُؤلِّبُ البحرَ والظلاما ؟

- فيا لَهُ فاتنا خَلِيًّا

يُزوِّرُ العشقَ والغراما !

- كم ليلةٍ بعدَ ألفِ ليلةْ

لم تَرْوِها عنه شهرزادُ

- وكم عناقٍ لـهُ وقُبْلةْ

فى كِذْبةٍ لفظُها مُعادُ

- فاستوعبَ الضوءُ ملءَ حسِّهْ

مفاتنَ الناسِ والطبيعة

- مُردِّداً فى قرارِ نفسِهْ

ما أبشعَ الغيرةَ الوضيعة ؟

- وارتعشَ الضوءُ ثم أضْفَى

من حولِهِ الصفوَ والسكينَة

- وابتسمتْ نفسُهُ فألْفَى

خطاهُ فى جانبِ السفينَة

• فـــراعَهُ ذلكَ الجـمــالُ

جـــمــالُهـــا الصَّامتُ الحـــزينُ

• فشـاقَهُ الشِّعرُ و الخـيـالُ

وهـزَّهُ الـوجــــــدُ والحـنـيـنُ

• فـقـالَ : يا روعـةَ المسـاءِ

وفِتـنـةَ الـلُّبِّ و الـبـــــصــــر

• قـد آذنَ الليلُ بانقـضـاءِ

وأنتِ مـــوصـــولةُ الســـهـــر

• أيتُّهـــا المَلْكَةُ الكســيْـرةْ

أيتُهـــــا الربَّةُ الخـــجـــولَةَ

• أيتُهـــا الطفلةُ الكبـيـرة

لن تَبْرَحى عـــالَم الطفـــولَةْ !

• أعلمُ مــا تكتـمـينَ عنِّى

وإنْ تـلـثَّمْتِ بـالخـــــفــــــاءِ

• خــمسُ ليـالِ وأنتِ منى

مـتـبـوعـةُ الظلِّ باشـتـهـائى

• قـد كنتُ أزْهَى بما عـرفتُ

مـن فِتَنِ الحـــــســنِ والـدلالِ

- لكنّنى الليلةَ اكتـشـفتُ

أروعَ مــا شِمْتُ من جــمــالِ

- عـشقتُ فيكِ الهوى و ذُلَهْ

فى زَهْوَةِ الحسنِ والشــبــابِ

- وذلكَ الصّمتَ ، مــا أجلّهْ

فى عـــــالـمِ اللّغْوِ والكِذابِ

- هـاربةٌ أنتِ ، يا فــتــاتى

مـــن ثـــورةِ الــشــكِّ والــرِّيَب

- هَرَبْتِ من ضــجّةِ الحَيــاةِ

فكيفَ من نفـــسكِ الهَرَبْ ؟ !

- بهـا ابدئى أولاً فــسلّى

وردكِ من شـــــوْكـــــهِ الأثيمِ

- لا البُعْدُ يجدى و لا التسلّى

كطعْنكِ الغــدْرِ فى الصــمــيمِ

- منيــهــةٌ لم يَطُلْ مَداها

تروعُ بالصّمتِ و الشـــحـــوبِ

- لم يبلغِ الليلُ مُنتــهــاها

إلاَّ عـلـى رَوْعَةِ المـغـــــــيبِ

● والتفتَ الضوءُ للوداعِ

يهمسُ فى رِقَّةٍ و وجدِ

● يا ربَّةَ الحسنِ لا تُراعِي

فلْتَرْعَكِ الكائناتُ بعدى

● يا ليلُ ، يا موجُ ، يا رياحُ

أيتُها السُّحْبُ و الظلالُ

● أيتها الغُورُ و البِطاحُ

أيتها الشهبُ و الجبالُ

● فى الجوِّ ، فى الماءِ ، فى الثرى

صونى لها العهدَ والودادا

● رُدِّى على عينها الكرى

وابْعِدِى الفِكْرَ و السهادا

● وانقذيها مِنَ الجوى

يا عاشقاتى على الزَّمانِ !

● بكلِّ ما فيكِ من قُوَى

وكلِّ ما فىَّ من حنان ! !

✍ ✍ ✍

١٩ - إنتظار

طالَ انتظارُكَ فى الظلامِ ولم تَزَلْ
عـــيناىَ ترقبُ كلَّ طيفٍ عـــابرِ
ويطيـرُ سـمـعى صـوبَ كلِّ مُرِنَّةٍ
فى الأفقِ تخـفقُ عن جَناحىْ طائرِ
وترفُّ روحى فـوقَ أنفـاسِ الرُّبا
فلعلُّهـــا نَفَسُ الحـــبـيبِ الزائرِ
ويَخِفُّ قلبى إثرَ كلِّ شُعــاعــةٍ
فى الليلِ تومضُ عن شـهابٍ غـائرِ
فلعلَّ من لَمَحَاتِ ثغـــركَ بـارقٌ
ولعلَّه وَضَحُ الجـبـينِ الناضـرِ
ليلٌ مـن الأوهـامِ طالَ سُهـــادُه
بينَ الجوَى المضنى وهجسِ الخاطرِ
حــتى إذا هَتَفَتْ بمقـــدمِكَ المُنى
وأصـخْتُ أسترعى انتبـاهةَ حـائرِ
وسَرى النسيمُ من الخمائلِ و الرُّبى
نشوانَ يعبقُ من شذاكَ العاطرِ

وترنَّم الوادى بسلسلِ مـــائِهِ
وتَلَتْ حـمـائمُهُ نشـيدَ الصـافرِ
واطلَّتِ الأزهارُ من ورَقــاتهــا
حيـرى تَعـجَّبُ للربيعِ البـاكرِ
وَجَرَى شعَاعُ البَدْرِ حولَكَ راقصـاً
طَرِباً على المرجِ النضـيــرِ الزاهرِ
وتجلتِ الدنيـا كـأبهجِ مـا رأتْ
عـينٌ وصــوَّرها خـيـالُ الشـاعـرِ
ومــضتْ تُكذِّبنى الظنونُ فــانثنى
مُتــســمِّعــاً دقــاتِ قلبى الثــائرِ
اقْبلْتَ بالبــســمــاتِ تملأُ خــاطرى
ســحــراً وأمــلأُ من جـمــالكَ ناظرى
وأظلَّنا الصــمتُ الرهيبُ ونحنُ فى
شكٍ من الدنيــا وحلمٍ ســاحـــرِ
حتى إذا حـانَ الرحـيلُ هتـفتَ بى
فـوقـفتُ واسـتَبَقَتْ خُطاكَ نواظرى
وصــرختُ بالليلِ المودِّعِ باكـيــاً
ويداكَ تمسكُ بى وأنتَ مــغــادرى

يا ليــتنا لم نَصْحُ منكَ وليــتَهــا
مــا أعــجلتكَ رَحَى الزمــانِ الدائرِ

* * *

ولقـد أتتْ بعدُ الليـالى وانقـضتْ
وكـــأننا فى الـدهـرِ لـم نتـــزاورِ
بُدِّلْتُ من عَطْفٍ لديكَ و رقـــةٍ
بحنينِ مـهـجورٍ وقسـوةِ هاجـرِ
وكــأننى مــا كنتُ إلفَكَ فى الصِّبَا
يومــاً ولا كنتَ الحـيـاةَ مـشـاطرى
ونسـيتَ أنتَ ، ومـا نسـيتُ ، وإننى
لاعيشُ بالذكـرى .. لعلَّك ذاكرى !!

✍ ✍ ✍

٢٠ - البحر والقمر

تَسـاءَلَ الماءُ فـيكِ والشَّجـرُ
من أين يا « كـانُ » هذهِ الصُّوَرُ ؟
البـحـرُ والحـورُ فـيـهِ سـابحـةٌ
رُؤًى بـهـا بـاتَ يَحْلُمُ القَمَرُ !
أطلَّ والـضـوءُ راقـصٌ غَزِلٌ
دعـاهُ قلـبٌ ، وشـاقَهُ بَصَرُ
يهـمسُ فـيـمـا يراهُ من فِتَنٍ
آلـهـةٌ هـؤلاءِ أم بَشَرُ ؟
يقـفـزُ من لجـةٍ إلى حـجَرٍ
كـأنما مَسَّ روحَهُ الـضَّجَرُ
مـعـربداً لا يريمُ سـابحـةً
إلاَّ ومنـهُ بثـغـرها أثرُ
من كلِّ حـوَّاءَ مـثلمـا خُلِقَتْ
يعـجبُ منهـا الحـرير والوَبَرُ
أَلْقَتْهُ عنهـا رقـائقـاً ونَضَتْ
جـسـمـاً تَحَامَى نداءَهُ القَدَرُ

فى حـــانةٍ مـــا عَلَتْ بهـــا عُمُدٌ

ولا اســـتـــوى فى بنائهـــا حَجَرُ

جُدرانهـا الماءُ ، والســمــاءُ لهــا

ســقــيــفــةٌ ، والنســائمُ السُّتُرُ

خــمَّارُها مُنْشِدٌ ، وســامــرُها

حــورٌ تلوَّى ، وفــتــيــةٌ سكروا

لم تَبْقَ فى الشطِّ منهــمــو قَدَمٌ

قد خوَّضوا فى العباب وانتثروا

وشَيَّعوا العقلَ حينما شربوا

وَوَدَّعوا القلبَ حيثما نظروا

والسابحاتُ الحسانُ حولهمو

كــــانهنَّ النجـــومُ و الزَّهَرُ

يزيدُ ســيــقـــانَهنَّ من بَهَجٍ

لونٌ عــجــيبُ الرُّواءِ مــبــتَكَرُ

يضىءُ ورداً وخــمــرةً وسنىً

ذوبٌ من المغــــريات مُعْتَصَرُ

تغـــــاير الموجُ إذ طلعنَ به

وثارَ من حَـــولهنَّ يشـــتَجِرُ

بــهــنّ يــلــتــفُّ مُرْتَقــىً وَيُرَى
ينشقُّ عنـهنَّ فـــيـــه مُنْحَدَرُ
منفــتــلات قـــدودُهُنَّ كـــمـــا
ينفــتل الـغــصنُ آده الـثــمــرُ
مُلـوِّحـــــــــات بـأذْرُعٍ عَجَبٍ
تحـــذرهنَّ النهــودُ و الشَعــرُ
والضــوءُ فـوق الخُصـور منهـمـرٌ
والماءُ تحت الصــدور مــســتــعــرُ
مـــازلْنَ والبـــحـــر فى تَوَثُّبـــهِ
يُرْغِى كـــــمــــا راع قَلْبَهُ خطرُ
قـــد جـــاوز الليلُ نِصْفَهُ فـــمــتى
توْمُ فـــيـــه أصــــدافَهـــا الدُرَرُ
فليـصــخبِ البــحــرُ ولتـنثنَّ به
رمـــالُه ، وليـــثــرثرِ الشـــجَرُ
ولتــعــصفِ الريحُ فـوق مـــائجــه
ولينبـــجس من غـــمـــامــه المَطَرُ
أقـــســمنَ لا ينتـــحــين شــاطئَهُ
وإنْ تَرامَى بمـائـه الـشـــــــــررُ

حـــــتى يُرَى وهو فـــــضةٌ ذَهَبٌ

تمازجَ الليلُ فــــيـــــه والسَّحَرُ !

✍ ✍ ✍

٢١ - حلم ليلة

إذَا ارتقى البـــدرُ صــفــحـــةَ النهــرِ
وضـــمَّنا فـــيـــهِ زورقٌ يجـــرى
وداعـــبتْ نَســـمـــةٌ من العِطرِ
علـى مُحـــيَّاكِ خُصْلَةَ الشَعــــرِ
حَسَوْتُهـــا قـــبلةٌ من الجَمـــرِ
جُنَّ جُنونى لـهـــا ومـــا أدرى
أىَّ مـــعـــانى الفـــتـــونِ والسِّحـــرِ
ثغـــرُك أوحى بـهـــا إلى ثغـــرى !
حلْمُ مـــســـاءٍ أتاحـــهُ دهرى
غَرَّدَ فـــيـــهِ الحـــبـــيسُ فى صـــدرى

✍ ✍ ✍

٢٢ - إعتراف

إنْ أكُنْ قد شربتُ نَخْبَ كثيراتٍ وأترعتُ بالمدامة كأسى
وتَوَلَّعتُ بالحِسانِ لأنِّى مُغْرَمٌ بالجمالِ من كلِّ جنسِ
وتَوَحَّدتُ فى الهوى ثُمَّ أشركتُ على حالتىْ رجاءٍ ويأسِ
وتَبذَّلتُ فى غرامى فلم أحبِسْ على لذةٍ شياطينَ رِجْسى
فبِرُوحِى أعيشُ فى عالمِ الفنِّ طليقاً والطهرُ يملأُ حِسِّى
تائهاً فى بحارِهِ لستُ أدرى ، لِمَ أزْجى الشراعَ أو فيمَ أرْسى
لِىَ قلبٌ كزهرةِ الحقلِ بيضاءَ نَمَتْها السماءُ من كلِّ قَبْسِ
هو قيثارتى عليها أغنِّى وعليها وَحْدِى أغَنِّى لنفسى
لِى إليها فى خَلْوَتى همساتٌ أنْطَقَتْها بكلِّ رائعِ جَرْسِ

* * *

كم شفاهٍ بِهِنَّ من قُبُلاتى وهَجُ النَّارِ فى عواصفَ خُرْسِ
ووسادٍ جَرَتْ بهِ عبراتى ضِحكُ يومى منه وإطراقُ أمسى
أيُّهذى الخدورُ أنوارُكِ الحمراءُ كم أشْعَلَتْ ليالىَ أنسى
أحرقتهنَّ ! آهِ لم يَبْقَ منهنَّ سوى ذلكَ الرَّمادِ برأسى !

٢٣ - أندلسية

حسنُكِ النشوانُ والكأسُ الرويّةْ
جدّدا عهد شبابى فسكرْتُ
حلْمُ أيامٍ ولَيْلاتٍ وضـــــيّةْ
عَبَرَتْ بى فى حياتى وعبرتُ
أنا سكرانٌ وفى الكأسِ بقيّةْ
أىُّ خمرٍ مَنْ جَنَى الخلد عصرتُ ؟
آهِ ، هاتى قـــرّبى الكأس إليّهْ
واسـقنيـهـا أنتِ ، يا أندلسيّةْ

* * *

لا تقـــولى أىُّ صـــوتٍ ملْهِمِ
قَادَ روحينا ، فـجننا ، والتقـيْنا
نَمَّكِ المشبوبُ فيـه من دمى
روحُ ماضٍ بالهوى يهفو إلينا
أخْتَ روحى ! قـرّبيـها من فـمى
إنْ شَرِبنا أو طربنا مـــا علينا

آهِ هاتيـــهـــا من الحـــسنِ جَنِيَّةْ
واسـقِيـهـــا أنتِ ، يا أندلسـيَّةْ

* * *

كـــانتِ النظرةُ أولى نظرتينْ
ثُمَّ صـــارَتْ لفظةً مـــا بَيْنَنا
والهـوى يَعْجبُ مِنْ مـغـتـربَيْنْ
لم يَقُلْ أنتِ ، ولا قـــالتْ أنا
وَسَبـحْنا فـوقَ وادٍ من لُجـينْ
تَحْتَ أفقٍ من غـمـامٍ وسَنَى
اتملأها سِمـــاتٍ عـــربيــة
وأنادى أنتِ ، يا أندلســيــة

* * *

صِحْتُ يا للشَّمسِ فى ظلِّ المغيبِ
تـلـثـمُ الـزَّهْرَ وأوراقَ الـشَّجَرْ
خِلْتُهـا بين مـحبٍّ وحـبـيبِ
قُبْلَةٌ عـــنـــدَ ودَاعٍ وَ سَفَرْ
فـانثنتْ تنظرُ للوادى العـجـيبِ
صُوَراً يَذْهَبْنَ فـــى إثْرِ صُوَر

وبسـمـعى همـسـةٌ منها شَجِيـة

وبروحـى أنتِ ، يا أنـدلسـيـة

* * *

ونـزلـنـا عِنْدَ شـطٍّ مـن نُضـــارِ

وانـتـحـينا خلوةً بعـد زحـامْ

قلتُ والليلُ بأعـقـابِ النهـارِ :

ألَكِ الليلةَ فى لحنٍ و جـامْ ؟

مـا على مـغـتـربىْ أهْلٍ ودارِ

إنْ أدارا ها هنا كأس مـدامْ ؟

آهِ هـاتيـهـا كـخـدَّيكِ نقـيَّةْ

واسـقنيـهـا أنتِ ، يا أندلسـيَّةْ

* * *

واحـتـوتنا بَيْنَ لَحنٍ مطربِ

حـانةٌ مِثلُ أسـاطيـرِ الزَّمـانِ

صَوَّرتْ جـدرانُهـا بِالذَّهبِ

فِتَنَ العـشق وأهـواءَ الحـسـانِ

قـالتِ : اشـربْ قُلْتُ لبَّيكِ اشـربى

مِلء كـأسـين فـإنَّا ظامـئـانِ

خـــمــرةٌ رومــيـــةٌ أو بابليّة
إســقنيــهـا انتِ ، يا أندلسـيّة

* * *

هتـــفتْ بى ويداها فى يدى
تدفعُ الكأسَ بإغـــراءٍ وعُجْبِ
أىُّ قـــيـــثـــارٍ شـــجىٍّ غَرِدِ
خِلْتُهُ ينطقُ عَنْ أســرار قلبى !
قلتُ طِفلٌ من قـــــديمِ الأبدِ
يمــزُجُ الألحــانَ مِن خَمْرٍ وحُبٍّ
ملء كـــــأسٍ فى يديهِ ذهبـــيةٌ
فــاسـقنيــهـا انتِ ، يا أندلسـيةٌ

* * *

ومـــــضى الليلُ ونادى بالرواحِ
كلُّ خـــــالٍ وتعـــــايا كلُّ صَبٍّ
وخـبـا المصــبـاحُ إلاَّ كـأسَ راحِ
نورُهُ مـــــا بين إيمـــاضٍ ووثبِ
قـد تحـدَّى وهْجُهُ ضـوءَ الصـبـاحِ
فبَقَيْنا حـــــولهُ جَنْبــــاً لِجَنْبِ

نتـسـاقـاها علىَ الفـجـرِ نديَّةٌ
واغـنَّى انـت ، يـا أنـدلـســـــيَّةٌ

* * *

يا عـروسَ الغـربِ ، يا أندلسـيَّةٌ
بَعُدَتْ داركِ و الصـــيفُ دنـا
اينَ أحـــلامُ اللّيـــالى القَمـــرِيَّة
والبـحــيـــراتُ مُطيـفـاتٌ بِنا ؟
أتذكـــرى بينَ الكؤوسِ الذّهبـــيَّة
حـــانةٌ ، يا ليـــتــهـــا دامَتْ لَنَا
حـين أدعـوكِ صـبـاحـاً وعـشـيَّةٌ
إسـقنيـهـا أنتِ ، يا اندلسـيَّةٌ

٢٤ - فلسفة وخيال

نُهْزَةٌ أهْدَتِ الخـــيـــالَ إلينا
ودعَتْنا لموعـــدٍ فـــالتـــقـــينا
ههنا تحتَ ظُلّةِ الغـابةِ الشـجـرا
ءِ سِرْنا ، والفـــجــرُ يحنو علينا
وقَطَفْنـا مـن زَهْرِهـا ، وانـثـنـيْنـا
فَجَنَيْنا تُفّاحـــهـــا بيـــدينا
وَمَرِحْنا بهـــا ســـحـــابةَ يومٍ
وبأشـجـارها نقـشْنا اسـمـينا

* * *

ههنا يا ابنةَ البـحـيـراتِ والأوديةِ الخُضْرِ والرُّبَى والجـبـالِ
صَدَحَ الحبُّ بالنشـيـد فلبَّينا نداءَ الهـوى وصـوتَ الخـيـالِ
وَتَبِعْنا على خُطَى الفجرِ موسيقى من العُشْبِ والندَى والظلالِ
وسـمـعنا حـفـيفَ أجنحـةٍ تهـفـو بهـا الريحُ من كـهـوفِ الليـالى

* * *

قُلْتِ لى والحـيـاءُ يَصْبُغُ خـدّيْكِ : أنارٌ تمشى بهـا أمْ دمـاءُ ؟
ملءُ عينيكَ ، يا فتى الشرقِ ، أحلامٌ سكَارى وصبوةٌ واشتهاءُ

وعلى ثغـرِكَ المشـوقِ ابتـسـامٌ

ضَرَّجَتْهُ الأشـــواقُ والأهـواءُ

أوَ حــقــاً دُنيــاكَ زهرٌ وخــمــرٌ

وغــوانٍ فــواتـنٌ وَ غنـاءُ؟

* * *

قُلْتُ : يا فـتنةَ الصِّبـا حَفِلَتْ دنيـاك بالحبِّ والمُنَى والأغـاني

مـا أثارتْ حـرارةَ الجَسَدِ المشـتـاقِ إلاَّ مـرارةُ الحـرمـانِ

إنَّ أجـســادنا مــعــابرُ أرواحٍ إلى كلِّ رائعٍ فــتَّانِ

أنا أهوى روحـيَّةَ العـالم المنظورِ لكنْ بالجـسمِ والوجـدانِ

* * *

مـا تكونُ الحـيـاةُ لو أنكرَ الأحـيـاءُ فيـهـا طبائعَ الأشـيـاءِ!

أنا أهواكِ كـالفراشـةِ صـاغتـهـا زهورُ الـثرى وكفُّ الضـيـاءِ

أنا أهواكِ فتْنَةً صــاغــهــا المثَّالُ من طينةٍ ومن إغــراءِ

أنا أهواكِ بدْعــةَ الخلد صيــغَتْ من هَوَى آدمٍ ومن حــوَّاءِ

* * *

أنــا أهــواكِ مــن أثــامٍ وَطُهْرٍ

حُلْمَ إغْفــاءَتي وصَحْوَ غــرامي

أنا أهواكِ تُبْدعــينَ يقــينى من نســيجِ الظُّنونِ والأوهامِ
أنا أهواكِ بِفَـمٍ قلبى ويَنْبُوعَ اشــتـهــائى ، وشِرَّتى ، وعُرامِى
وحنـانـاً مُجــــسَّداً إنْ طوانـى اللـيلُ وسدّتْ صَدْرَهُ الآمـى

* * *

يا لَلطريقِ الضــيِّقِ الصّاعــدِ بين ربوتينْ
كــأنما خُطَّ على قَدْرِ خُطىً لعــاشــقــينْ
ألشَّجَراتُ حــولهُ كــأنهــا أهدابُ عَيْنْ
كـعــهـدِهِ بصــاحبِ الدّارِ ظليلَ الجـانبـينْ
نَبَّأهُ الــصَّدَى المــرِنُّ عــن قُدومِ زائــريــنْ
فى فـجـرِ يومِ مـاطرٍ شَقَّ حـجـابَ ديمـتـينْ
كــأنما يَنْزِلُ مـنـهُ الوحـىُ حَبَّاتٍ لجــينْ
فــانتــبــهتْ خــمــيلةٌ تهــزُّ عُشَّ طائرينْ
وشــاعَ فى الغــابةِ هَمْسٌ من شــفــاهِ زهرتين
مَنِ الغــريبــانِ هُنا ؟ ومــا سُراهمــا ، وأينْ ! ؟
مــاذا قـدومــهُمــا والغــيثُ مِدرارُ
لا صــاحبُ الدّارِ طلاّعٌ ولا الدّارُ
هذى البـحيرةُ وَسْنَى ، حلْمُ ليلتـها
لمَّا تُفِقْ منهُ شـطـنـانٌ وأغــوارُ

والأرضُ تحتَ سـحـابِ الماءِ أخيلةٌ
ممـا يُصــــــــوِّرهُ عُشْبٌ ونُوّارُ
والصبحُ في مهدِهِ الشرقيِّ ما رُفِعَتْ
عن وَرْدِهِ من نسـيجِ الغَيْمِ أسـتـارُ
حتَّى الجبـالُ فمـا لاحتْ لها قِممٌ
ولا شـدا لرُعـاة الضـأنِ مـزمـارُ
فمنْ هما القادمانِ ؟ الريحُ صـاغيةٌ
لوَقْعِ خطوِهمـا والأرضُ أبصـارُ !
أعـادَ منْ زَمَنِ الأشـبـاحِ سـامـرُهُ
فـالليلُ والغـابُ أشـبـاحٌ وأسْمـارُ ؟
أمِ البـحـيـرةُ جِنّيـاتُهـا طلعتْ
فـهبَّ مـــوجٌ يناديهـــا وتَيّارُ !
أمْ راصـداً كوكبٍ ضـلاً سـبيلهمـا
لمَّا خَبَتْ من نجـــومِ اللّيلِ أنوارُ
أمْ صـاحبا سَفَرٍ مالَ الضَّنَى بهما
حَوَتْهـــمـــا جَنَّةٌ للفنِّ مـــعْطارُ
أم عاشقانِ تُرَى ؟ أم زائرانِ هما ؟
وهل مَعَ الفـجـرِ عُشّاقٌ وزوّارُ ؟ !

وامسكَ الغيثُ كما لو كانَ يُصغى مثلَنا

واعتنقتْ حتى وُرَيْقاتُ الغصونِ حولَنَا

كأنما تخشى النسيمَ أو تخاف الغُصُنَا

وانبعثَ اللحنُ الشجيُّ من هنا ومن هنا

يثورُ فى إيقاعِه قيثارةٌ وأرْغُنَا

كأنَّ جِناً فى السماءِ يُشْعلونَ الفتنَا

كأنَّ أرباباً بها يُحاكمونَ الزَّمَنَا

يا صاحبَ الإيقاع ما تعرفُ ما هجْتَ بنَا

ألشجرُ ؟ أم ذُرتْ على الشمس بوارقُ السَّنى ؟

مَالَكَ قد غَنَّيتَهُ هذا النشيدَ المحزنَا

غَنَّتْهُ آلهةٌ أمْ أنتَ غنَّيْتَ لنا ؟

ما ذلكَ الصوتُ شاجى اللحنِ سَحَّارُ

يُجْريهِ نبعٌ من الإلهامِ زَخَّارُ

فيه تَنَفُّسُ فوقَ السُّحبِ آلهةٌ

وآدميونَ فوقَ الأرضِ ثُوَّارُ

له مذاقٌ ، له لونٌ ، له أرَجٌ

خَمْرٌ أباريقُها شتَّى وأثمارُ

أشتفُّهُ وأنادى كلَّ ناحيةٍ

مَنِ المُغَنِّى وراءَ الغابِ ، يا دارُ ؟

السمفونيّةُ هذي ! أم صدى حُلُمٍ
كما تَجاوبُ خلفَ الليلِ أطيارُ !
أعادَ للمِعْزَفِ المهجورِ صاحبُهُ
فغرّدتْ في يديهِ منهُ أوتارُ !
أظَلُّ أصْغي وما من شُرْفةٍ فُتِحَتْ
ولا أزاحَ رِتاجَ البابِ ديَّارُ
حتى الحديقةُ لَفَّتْ كوخَ حارسها
بصمتها ، فهما نَبْتٌ وأحجارُ
تواضعتْ بجلال الفنِّ ما ارتفعتْ
مثلَ البروجِ لها في الجوِّ أسْوارُ
تُصْغي إلى هَمَسَاتِ الريحِ شيِّقةً
كأنما همساتُ الريحِ أخبارُ !
هنيهةً ، ثمّ سمعنا هاتفاً مردِّدَا
يقولُ : قُمْ « يا سِجْفريدُ » ، فالصَّباحُ قد بدا
عرائسُ الوادي ألَمْ تضربْ لهنَّ موعدا ؟
ماذا ! قُم انفضِ الكَرَى ، ونَمْ كما شئتَ غدا
واخطرْ على الغابةِ منضورَ الصِّبا مُخلَّدا
خُذْ سيفكَ السحريَّ صِيغَ جوهراً وعسجدا

قـــد لَقِيَ التنِّينُ منه فى العـــشـــيّةِ الرَّدَى
صــــوتٌ مـعَ الريـحِ سَرى .. ، ولِلسكونِ أخلدا
فـأمْسَكَتْ صـاحـبـتى يدى وحـاطتْ بى يدا
تقـولُ : لم اسـمعْ كـهـذا اللحن أو هذا الصَّدَى
قـلتُ : ولا بمـثلـه شــــادٍ علـى الدهـرِ شدَا
قـد باحَ بالنَّغَمِ الموعـودِ قـيـثـارُ
فـالفـجـرُ احـلامُ عُشّاقٍ واسـرارُ
صـــحــا يُفَصِّلُ رؤياهُ ويَعْبُرها
موجٌ على الشاطىء الصخرىِّ ثرثارُ
وزحزحتْ وَرَقَ الصفصافِ حانيةً
على البُحـيـرة أعـشـابٌ وأزهارُ
تُســائلُ الماءَ : هل غَنَّتْهُ او عَبـرتْ
شُهْبٌ بِهِ مـسـتـحـماتٌ واقـمـارُ ؟
يا صاحبَ اللحنِ إنَّ الغابَ مُصْغيةٌ
فأينَ من « سِجِفريدَ » السيفُ والغارُ ؟
ما زالَ فوقَ ندىِّ العشبِ مضجعهُ
وَمِنْ يديه على الأغـــصـــانِ آثارُ
هذا النشيدُ ، نشيدُ الحبِّ ، تَعزِفُهُ
له عــــرائسُ ، مِثْلُ الوردِ ، أبكارُ

بَعَثْتَــهنَّ من الأنغــام أجنحــةً
هـزيـزهـنَّ مَعَ الأفـــــــلاكِ دوَّارُ
فى صــدرِ قـيـثـارةٍ أودعْتَهُ نَغَمـاً
مِزاجُهُ الماءُ والإعــصــــارُ والنارُ
تُفْضِي بما شئْتَ من أسرارِ عالمها
فــيــهِ ليــالٍ ، وأيامٌ ، وأقــدارُ
حـتى الطبـيـعـةُ من ناسٍ وآلـهـةٍ
تمازجتْ فـهىَ ألحـانٌ وأشـعـارٌ !

✍ ✍ ✍

٢٥ - الله والشاعر

● لا تفــــزعي ، يا أرضُ ، لا تَفْرقي
مـن شَبَحٍ تحتَ الـدُّجى عـــــابرِ
مـــــا هـوَ إلاّ آدمـيٌّ شـــــقِي
ســــمَوْهُ بين النـاسِ بالشـــاعـــرِ

● حـنـانَكِ الآن ، فــــلا تُنكري
ســـبـــيلَهُ في ليلكِ العـــابسِ
ولا تُضلِّيـــــهِ ، ولا تـنْفــــري
مِنْ ذلكَ المســتــصــرخِ البـــائسِ

● مُــدِّي لعينيـهِ الـرِّحـابَ الفِسـاح
ورقــــرقي الأضــــواءَ في جــــفنهِ
وأمـسـكي ، يا أرضُ ، عــصْفَ الرياحْ
والـرَّاعـــــــدَ المُنـصـبَّ فـي أذنـهِ

● أنـتِ لـــهُ ، يـــا أرضُ ، أمٌّ رؤوم
فــــاشْهــــدِي الكونَ على شِقْوَتِهْ
وردِّدي شـكـواهُ بـينَ الـنـجــــــومْ
فــــهـــوَ ابنُكِ الإنســـانُ في حَيْرتِهْ

• مــــا هوَ إلاّ صـــــوتُك المُرْسَلُ
وروحُكِ المســــتـــعـــبَدُ المُرْهَقُ
قـــــد آدَهُ الـدهـرُ بمـا يَحـــــمِلُ
فـــــجـــــاءَ عنْ آلامـــــه يَنطِقُ ؟

• طغَى الأسى الدّاوي على صـــوتِهِ
يـا لـلصدَى من قـلـبـــــــهِ النّاطـقِ
مـــــضـى يـبثُّ الـدهـرَ فـي خـــــفْتِهِ
شـكـايـةَ الخَلْقِ إلـى الخـــــالـقِ

• حنانكَ اللـهمَّ ، لا تـغـــضـبِ
أنتَ الجـمــيـلُ الصــفحِ ، جمُّ الحنانْ
مـــــا كـنـتُ فـي شـكـوايَ بـالمذنبِ
ومـنـكَ ، يـاربِّ ، آخـــذتُ الامـــانْ

• مـــا أنا بالزاري ولا الحــاقــدِ
لكنني الشّاكي شــقـــاءَ البــشَرْ
أفنيتُ عـــمـــري في الأسى الخـــالدِ
فـجـئتُ أسـتـوحـيكَ لُطْفَ القـدَرْ

• تمـرَّدتْ روحـي عـلـى هـيـكـلـي
وهـيكلُ الجـــسمِ كـــمـــا تعلمُ

ذاكَ الضـــعـــيفُ الرأيِ لم يفـــعلِ
إلاَّ بمـا يـوحـي إلـيـــــهِ الـدمُ !

- يَعـرُقُ حـدُّ السَّيْفِ مـن لحـمـهِ
ويـحـطمُ الصَّفـــوانُ بـنـيــــانَهُ
ويـنـخـــرُ الجـــرثـومُ في عظمــهِ
ومـنـهُ يُنْمـي القـــبـــرُ ديدانَهُ !

- مـا هوَ إلاَّ كـومـةٌ من هبـاءْ
تمحـقـهُ اللمـسـةُ من غَضَـبـتِكْ
فكيفَ يثني الروحَ عـــمـا تَشـاءْ ؟
وكـيـف يقـــوى ؟ وَهْيَ من قـــدرتِكْ ؟

- يا للشـــقيِّ القلب كمْ سـامَهُ
توهُّم النعـــمـــةِ مـا لا يُطيقْ
يُريـــدُ أنْ يُقـنـــعَ أوهـامَهُ
بـأنـهُ ذاكَ الخـلـيُّ الـطـلـيـقُ

- هـأنـذا أرفـــعُ آلامـــهُ
إلى ســـمـــاءِ المنقـــذِ الأعظمِ
أنـا الـذي تُرسـلُ أنـغـــــامَهُ
قـــيـــثـــارةُ القلب ، ونـايُ الفـمِ

• من عـبـراتي صُغتُ هذا المقـالْ
ومـن لـهـيـبِ الـروحِ هـذا الـقَلَمْ
مـلأتُ منهُ صـفـحـاتِ الليـالْ
فَضُمِّنَتْ كلُّ مـعـانـي الألَـمْ

• انـا الذي قـدَّسْتَ احـزانَهُ
الشَّاعـرُ البـاكي شـقـاءَ البـشَرْ
فَجِّرْتَ بـالرحـمـةِ الحـانَهُ
فـامـلأ بهـا ، يارِبُّ ، قلبَ القـدَرْ !

• مـا الشـاعـرُ الفنَّانُ في كـونهِ
إلاَّ يـدُ الـرحـمـةِ مـن ربِّهِ
مُعَزِّيَ الـعـالـمِ فـي حـزنـهِ
وحـامـلُ الآلامِ عـنْ قـلـبـهِ

• عـزاؤهُ شـعـرٌ بـهِ امْـزَجُ
في نَغَمٍ مـسـتـعـذَبٍ سـاحـرِ
مـا يَحْزَنُ الـعـالَمُ او يُبـهـجُ
إلاَّ على قـيـثـارةِ الشـاعـرِ

• يارِبُّ ، مـا اشـقـيتني في الوجـود
إلاَّ بـقـلـبـي : لـيـتـهُ لـم يَكُنْ

فـــي المـــثـــل الأعـــلـــى وحُبِّ الخـــلـــودْ
حــــــمَّلتـــــهُ العبءَ الذي لم يَهُنْ

- خلقـتـهُ قلبـاً رقـيقَ الشّغَافْ
يهــــيمُ بالنورِ ويَهْوى الجـــمـــــالْ
حَلَتْ لَهُ الـنجـــــوى ولذُّ الطواف
بعـــالمِ الحـــسنِ ودنيَـا الخـــيـــالْ

- بَعَثْتَهُ طيـراً خـفـوقَ الجناحْ
عـلـى جِنـانٍ ذاتِ ظـلٍّ ومـــــــاءْ
أطلقـــتـــهُ فـــيـــهـــا قُبَيْلَ الصـــبـــاحْ
وقلتَ : غنِّ الأرضَ لحنَ الســـمــــاءْ

- فـهـامَ في آفـاقـهـا الواسعَةْ
النُّورُ يـهــــفـــــو حـــــولَهُ والنَّدَى
مُصـــفِّقـــاً للضَّحْوَةِ الســـاطعَةْ
ومُنشِداً مـــا شـــاءَ أنْ يُنشـــدا

- إنْ جـاءَ صـيفٌ او تجلّى ربيعْ
حـــيَّاهُ منهُ عـــبـــقـــريُّ الغِناءْ
وكم خـــريفٍ في نشـــيـــدٍ بديعْ
تظلُّ ترويهِ ليـــالي الشـــتـــاءْ

• قيثارةٌ تصدرُ في فنِّها
عن عالمِ السِّحرِ ودنيا الخفاءْ
على الصَّدَى الحائرِ من لحنِها
يستيقظُ الفجرُ ويغفو المساءْ

• مَشتْ على الأمواجِ أنغامُها
والأرضُ قَيْدُ النشوةِ المسكِرة
كأنَّما ترقُصُ أحلامُها
في ليلةٍ شرقيةٍ مُقمِرة !

• من قلبِه أسلَمَتْ أوتارَها
فقلبُهُ يخفقُ في كفِّه
يشدو فتُملي النفسُ أسرارَها
عليه ، فهيَ اللحنُ من عزفِه

• ذاتَ صباحٍ طائرٍ لا يُمْهِلُ
والأرضُ سَكرى من عبيرِ الزهورْ
على حصاها رنَّمَ الجدولُ
وفي روابيها تُغنِّي الطيورْ

• ما كانَ يدري قبلاً أن ينظُراً
ما خَبَأتْهُ النظرةُ العاجلة

مـــــا أبدعَ الحلمَ الذي صـــــوَّرَا
لوْ لَمْ تَشُبُّهُ اليـــــقْظَةُ القـــــاتلة !

● مــرَّ بنهــرٍ دافــقٍ سلســبــيلْ
تهــفــو القــمَارى(1) حــــولَهُ شـــادِيَهْ
في ضــفــتــيــهِ باســقــاتُ النخــيلْ
ترعى الشـــيــــاهُ تحـــتَهـــا ثاغِيَة

● فــهـــاجــتِ النظرةُ ممــا رأى
في قلبـــهِ الســـحـــرَ وفي عـــينهِ
الكونُ يبــــدو وادعـــــاً هـــانئـــــاً
كـــــأنـهُ الفـــــــردوسُ فـي أمـنـهِ

● فظلَّ في التـفكيـر مـسـتـغـرقـاً
من فــتنةِ الدنيـــا وَمِنْ ســــحــــرِها
مــــا كـــانَ إلاَّ ريثـــمــــاً حـــدَّقــــا
حــــتى جلَتْ دنيــــاهُ عن ســـــرِّها

● رأى بعـــينيـــهِ الذي لـــم يـــرَهْ
الذئبَ ، والشـــاةَ ، وحـــربَ البـــقـــاءَ

---

(1) القُمْرِيُّ : ضرب من الحمام حسن الصوت .

مـــا عَرَفَ القـــتلَ ولا أبصـــرهْ
ولا رأى مـن قَبْلُ لـونَ الـدمــــاءْ !

● مـــا هى إلاَّ صـرَخَاتُ الفـزَعْ
وصــيـحــةُ المقـتــولِ والقــاتلِ
قــدِ انقــضى الأمــرُ كــأنْ لمْ يَقَعْ
وضـــاعَ صــوتُ الحقِّ في البـــاطلِ

● وبعــدَ ســاعــاتٍ يُوَلِّي النهــارْ
ويقـــبلُ الليلُ ، ومـــا يعلمُ !!
ســيلبثُ الســرُّ وراءَ الســتـــارْ
ويخــتــفي الشِّلْوُ ويُمــحي الدمُ !!

● يا أرضُ ، ولَّى عــهــدُ نوحٍ وزالْ
فَمَنْ لكِ الــيــــومَ بطوفــــانه ؟
مــــسكينةٌ تطوينَ بحـــرَ الليـــالْ
قــــد عـــزَّكِ المرسى بشطئــــانه !

● إلامَ تطوينَ عُبــــابَ السنينْ
شـــوقــاً إلى فــــردوسكِ الضــائعِ ؟
غُرِّرتِ ، يـــا أرضُ بمـــا تحــلـمــينْ
فـــاســتـيــقظي من حلمكِ الخــادعِ !!

● وابقي كما أنتِ على موجهِ
تُمَزِقُ الأنواءُ منكِ الشراعْ
يقذفُكِ التيار في لجُهِ
عشواءَ لا يهديكِ فيهِ شُعاعْ

● سلي القداساتِ وأربابَها
ضراعةٍ تصغى إليها السماءْ
أو فاطرقي بالبثِّ أبوابها
لعلُّها ترفعُ عنكِ الشقاءْ !

● يا أيها الغادونَ والرائحونْ
في شُعَبِ الأرض وليلِ الهمومْ
تُمسونَ أشتاتاً كما تصبحونْ
والشمسُ حيْرى فوقكم والنجوم !

● فابتهلي للّهِ ، واستغفري
وكفِّري عنكِ بنارِ الألمْ
وقدِّمي التوبةَ ، واستمطري
بين يديْه عَبَراتِ النَّدَمْ !!

✍ ✍ ✍

المحتويات

القصيدة	صفحة

رقم الإيداع ٥٧٤٩ / ٩٦

I. S. B. N 977-01-4811-3



مكتبة الأسرة



بسعر رمزى جنيه واحد
بمناسبة

مهرجان القراءة للجميع ١٩٩٦

مطابع
الهيئة المصرية العامة للكتاب